



Princeton University Library



32101 055381766

---

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

---

*This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.*

---





نظرة سريعة الى



# حياة نبيّ الاسلام (ص)

٥٦


تأليف: لجنة التحرير  
المترجم: الشيخ محمد علي التسخيري



Nazrah

نظرة سريعة الى  
حياة نبيّ الاسلام

صلى الله عليه وآله وسلم



(RECAP)  
(1720)

BP75

.N3912

اسم الكتاب: نظرة سريعة إلى حياة النبي (ص)  
المؤلف: لجنة التحرير. في طريق الحق  
المترجم: الشيخ محمد علي السخيري  
رقم التسلسل: ٥٦  
نوع الطبع: الأوفست  
عدد الصفحات: ٢٠٠  
الطبعة: الأولى  
عدد النسخ: ٥٠٠٠  
المطبعة: سلمان الفارسي - قم  
تاريخ النشر: شهر شعبان المعظم ١٤٠٣  
الناشر: مؤسسة في طريق الحق  
العنوان: ايران، قم، خيابان ارم، كوچه آقا زاده مؤسسه في طريق الحق  
لكافة المراسلات: ص.ب. ٥. قم. ايران  
حقوق الطبع محفوظة للناشر





## مقدمة

من جملة التّشرّات التي صدرت عن مؤسسة «في طريق الحق» دورتان هما الثالثة والرابعة وتضمّان شرحاً مختصراً لحياة نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم، ويتخلّل في الإثناء الجوابُ على الشبهات والتخرصات التي اطلقها اعداء الإسلام، وقد طُبعت هاتان الدورتان باللغة الفارسية عدة مرات وتم توزيعها بين الشباب، ثم تُرجمتا إلى اللغة العربية وأرسلتا إلى الشباب المسلم خارج إيران عن طريق المراسلة، وقد لقيتا اقبالاً منقطع النظير.

وهذا الكتاب هو مجموع تلك الأعداد العشرين قد نُظّمت وطُبعت بهذا الشكل، كما نشرت المجموعة نفسها باللغة الفارسية تحت عنوان «نكرشي كوتاه به زندگي پیامبر اسلام صلى الله عليه وآله وسلم» اي «نظرة سريعة إلى حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم». نسأل الله تعالى، ان يوفقنا لخدمة الاسلام وان يدعم الثورة الاسلامية في ايران التي انطلقت بقيادة الامام الخميني لتشمل العالم الاسلامي فيتقارب المسلمون ويتكاتفون لينهضوا في سبيل نشر الحقائق الاسلامية وتطبيق القيم الدينية فيخلق الانسان في الآفاق الرفيعة للاسلام.

لجنة التحرير

مؤسسة في طريق الحق



العالم والعرب  
قبل ظهور الإسلام

## بسم الله الرحمن الرحيم

كان الناس في كل أنحاء العالم قبل أن تشع أنوار الرسالة الإسلامية يعيشون وضعاً مؤسفاً للغاية من الناحية العقائدية الفكرية، وفي شؤونهم الفردية والاجتماعية. ولئن كانت مناطق العالم تتفاوت في بعض الأمور إلا أن القاسم المشترك بين افراد البشرية أينما وجدوا آنذاك كان متمثلاً في الانحراف الفكري، التقاليد الاجتماعية البالية، سيطرة الخرافات والأساطير على العقول والاذهان، والمشاكل الاجتماعية والاخلاقية.

\*\*\*

فقبل ظهور الاسلام كان اليهود قد غيروا الدين الذي جاء به النبي موسى (ع) واطهروا أصوله بصورة جامدة متحجرة وافرغوها من محتواها الحقيقي واشاعوا الروح المادية في حياة الناس. والمؤسف أن المسيحية التي كان النبي عيسى (ع) قد حمل رسالتها من قبل الله تعالى الى الناس لتهديب الاخلاق وتطهير النفوس وتخليصها من السيطرة المادية البشعة... هذا الدين هو الآخر

وقع تحت تأثير رجال الكنيسة فغيروا من روحه واستغلوه لمنافعهم الشخصية وتحول الى سيف مصلت على رقاب الناس، اضيف الى ذلك أن المسيحية بطبيعتها لم تكن حاوية للقوانين الكاملة في تقرير الانظمة الاجتماعية المتعددة، وهكذا كانت النتيجة أن بقيت عاجزة عن قيادة البشرية المعذبة ونجاتها.

ومن هنا نعلم كيف كان الناس في شتى مناطقهم— المتدين منهم وغير المتدين— شركاء في التقاليد المغلوطة وسيطرة الخرافات والاساطير والفرق في الاوهام والمشاكل المتنوعة. فشعلة الفساد تستعر... الخرافات والاهوام تتحكم في مصير الناس باسم العقيدة والمذهب.

الشرك في العبادة، والتثليث في الالهية حمل الاذعان به على الناس تحميلاً، الكثيرون توجهوا لعبادة الاصنام، النار، البقر والنجوم. والأنكى او الأمر من هذه وتلك، عبادة الشهوة والفروج والتي كان لها رواج حينذاك. إن هذا الفساد المستشري والانحطاط الاخلاقي والتدهور المعنوي الذي كان ناشراً ظلالة السوداء على كل بقعة من بقاع الارض كان سبباً وموجباً للتخبط والانحراف في المجتمع البشري، وإلراقة الدماء والظلم والعدوان وفي الواقع كانت البشرية على مشارف الهلاك والسقوط الابدي.

## الجزيرة العربية قبل ظهور الاسلام

كان للجزيرة العربية— التي سميت بالارض المحروقة— وضع عجيب فالصحاري الجرداء القاحلة والوديان الجافة والتلال

الصخرية، هي كل ماتشكله هذه المنطقة التي كانت قليلة الماء وغير ذات زرع، حشائشها كانت عبارة عن الاشواك والحسك، وبيوتها كانت اكواخاً ضيقة يسكنها موجود يسمى بـ (الانسان) يعيش في اغلب الاحيان على التمر والماء الآسن ليستد رمقه.

الحروب والصراع القبلي كانت هي اساس النظام الاجتماعي لسكان شبه الجزيرة العربية، ولم تعد مدينة مكة المكرمة سوى معبد للاصنام، ولم يكن اغلب ساكنيها غير مجموعة من اهل المنافع وآكلي الربا الذين يمتصون دماء الآخرين لأجل الدرهم والدينار.



الحياة القبلية لسكان البادية العربية، واتخاذ الكثير حياة الرعي بالاضافة للاقطاع البغيض كل هذا كان مصدر عذاب شديد هؤلاء السكان، الحالة الاقتصادية المتردية الناشئة من استغلال رؤساء القبائل والمرابين قدحى مفهوم الحياة الإنسانية وحول جو السعادة الاجتماعية الى جو مظلم مشحون بالمآسي والآلام. لقد كانت مجموعة الأثرياء المرابين التي اتخذت من التجارة عملاً ومهنة في مكة المكرمة قد بدأت بجمع الاموال والثروات الطائلة من طرق غير مشروعة، واخذت باستغلال الطبقات الضعيفة الفقيرة استغلالاً بشعاً وكان هذا في الواقع معقماً للتفاوت الظالم بين طبقات المجتمع الواحد.

وكانت القبائل العربية بسبب الجهل الذي كانت تعيشه آنذاك، قد اتخذت من الاصنام والمظاهر الطبيعية معبودات لها

وحولت الكعبة الشريفة الى بيت للاصنام<sup>١</sup> لقد كانت أي عادة من العادات الخاطئة او أي تقليد من تقاليدهم وسنتهم البالية آنذاك ، كافيًا لوحده أن يحطم ويمحي عظمة أي أمة؛ ان الوضع الذي اوجدته الانحرافات اللانسانية في المجتمع العربي قبل الاسلام كان وضعاً ثمرته الفساد والتردي وغداؤه لحم الانسان، وشعاره الخوف والقلق، ومنطقه ودليله السيف.

وكان العرب يحسبون ويتخيلون أن الافضلية والرفعة هي للعربي والعربي فقط دون غيره من الناس، وإن للدم العربي والعنصر العربي ميزة تجعله أعلى شأنًا من الآخرين وهكذا ترى أن جذور القومية والعنصرية المتفشية في عصرنا هذا ترجع الى تلك الجاهلية الاولى التي شكلتها بلونها الخاص، وحتى بين العرب انفسهم؛ كان التفاضل موجوداً على اسس خاوية موهومة كزيادة الولد وكثرة المال وبها كانت القبيلة تفتخر على اختها، والانسان على اخيه.

كانوا يعدّون القتل وسفك الدماء شجاعة وبطولة، وكان السطو والاغارة الوحشية والعدوان، والتجاوز والظلم، بعضاً من مفاخرهم، وكانت غيرتهم المفرطة هي في دفن بناتهم البريئات وهنّ على قيد الحياة، وكانوا— كما يحدثنا القرآن الكريم عنهم—: «وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ»<sup>٢</sup> ويظل منتهزاً اي فرصة ليدسها في التراب حية لانه بهذا العمل— حسب تفكيره الأرعن— يغسل العار عن نفسه ويجنب نفسه وعشيرته

١— شرح نهج البلاغة للخوئي ج ٢ ص ١٧٣، التاريخ الجامع للاديان ص ٤٧.

٢— سورة النحل ٥٨.

فضيحة و عارسبها ان اغارت عليهم القبائل في المستقبل، وهذا هو الإمام أمير المؤمنين علي (ع) في إحدى خطبه المذكورة في الكتاب الخالد نهج البلاغه يقول واصفاً الحياة الاجتماعية للعرب:

«وانتم معشر العرب على شردين، وفي شر دار، منيخون بين حجارة خشن، وحيات صم، تشربون الكدر، وتأكلون الجشب، وتسفكون دماءكم، وتقطعون ارحامكم، الأصنام فيكم منصوبة، والآثام بكم معصوبة،<sup>١</sup>».

وهكذا نجد ان سكان شبه الجزيرة العربية كانوا يعيشون وسط لجة من الفساد والتردي، وقد تحولوا بسبب الجهل واللامبالاة الى مجموعة وحشية، طالبة للهوى قد اخذ منها الفراغ مأخذه فعاشوا الضياع وابتلوا بالخزافات والأساطير، شأنهم في ذلك شأن اكثر سكان العالم من معاصريهم.<sup>٢</sup>

\*\*\*

ومن البديهي انه يلزم لاصلاح وبناء مثل هذا المجتمع الخاوي المتردي، انقلاب اساسي وشامل لكل الجوانب الحياتية للانسان، كما ان من اللازم والضروري أن يكون قائد هذه النهضة الشاملة رجلاً مؤيداً بقوى السماء ومنتخباً من قبل الله تعالى لكي يبقى بعيداً عن احتمال جر المنافع الشخصية والتعدي على حقوق الاخرين، والقضاء على جميع مخالفيه الشخصيين بحجة «التصفية».

نعم لا بد ان يكون هذا القائد رجلاً إلهياً يعمل في سبيل الله

١- نهج البلاغة شرح محمد عبده ص ٧٤ ط بيروت.

٢- دائرة المعارف محمد فريد وجدي.



وحده ويعمل لاجل رفاه وسلام وتقدم المجتمع البشري كله، لانه و بدون شك اذا كان القائد لا يتمتع بالروح المعنوية والاخلاق العالية ولم يكن للملكات والصفات الانسانية الفاضلة وجود في شخصيته، مثل هذا القائد لا ولن يتمكن من اصلاح مجتمع اونجاة أمة.

إن القادة المؤيدين بنصر السماء هم وحدهم فقط القادرون على إيجاد التغيير الجذري العميق البتاء في الشؤون الفردية والاجتماعية للبشرية.

والآن لابد أن ننظر إلى شخصية القائد الجديد لعملية الانقلاب العالمي، وماهي التغييرات التي احدثها في هذا العالم.



النبيّ محمّد (صلى الله عليه وآله وسلّم)

ولادته وطفولته

## ولادته، و طفولته

... كانت مدينة مكة غارقة في ظلام و سكون ثقلين ولا يطالع الناظر إليها أية مظاهر للحياة والنشاط، اللهم إلا ذلك القمر الدؤوب الذي بدا كعادته كل يوم يتحرر من خلف تلك الجبال الجرداء المسودة، ويرتفع في الآفاق رويداً رويداً لينشر أشعته الفضية الهادئة على تلك البيوت البسيطة الغريبة عن تعقيدات المدينة وتجملاتها.

وبدأ الليل يتجاوز منتصفه قليلاً، فعم أرض الحجاز القاحلة نسيم لطيف عذب جعلته يخلد الى الراحة وينعم بالهدوء، والنجوم هي الاخرى بدأت في تلك اللحظات الحلوة تضيئ على ذلك المشهد الطبيعي صفاء ما، وتعكس بالألوان على الأرض الطيبة جاذبية وسحراً وتطالع ساكني مكة بابتسامة عذبة جميلة... و حان وقت انسحر وطفقت طيور السحر الساحرة تعزف ألحانها البريئة التي تحيي القلوب بنغماتها الموسقة وكأنها تناجي الحبيب في ذلك الجو الفردوسي العابق، و مع أن آفاق مكة كانت بانتظار فجرها

اللاحب الحبيب إلا أن سكوتاً مبهماً محيراً لم يزل متحكماً في هذه المدينة.

الجميع كانوا في نومهم العميق إلا آمنة، فقد كانت يقظة و بدأت تحس بالألم الذي كانت تنتظره... الألم الذي أخذ يشتد ويشتد... وفجأة رأت في غرفتها عدة نساء تملوهن المهابة ويجللهن النور، وتفوح منهن روائح زكية لم تعهدها آمنة من قبل، وتحيرت آمنة في شأن هؤلاء النسوة المجهولات و كيف استطعن الدخول من الباب الموصدة!...<sup>١</sup>

ولم يطل تحيرها إذ جاء إلى الدنيا وليدها الحبيب، وهذا قرّت عينها بعد شهور من الانتظار بوليدها الذي أطلّ على الدنيا في سحر اليوم السابع عشر من ربيع الأول<sup>٢</sup> و فرح الجميع بهذا المولود المبارك الذي أنارت طلعتة بيت آمنة المظلم، والتي افتقدت في تلك الحالة زوجها الذي لم تمهله يد الموت ليتسنى له رؤية الوليد الحبيب، إذ اختطفته حين رجوعه من الشام، فتوفي في يثرب و دفن هناك، حيث ترك آمنة وحيدة مع جنينها الذي كان يؤنس وحشتها القاتلة<sup>٣</sup>.

## محمد صلى الله عليه وآله وسلم الوليد العجيب

ولد محمد صلى الله عليه وآله وسلم و صاحبت ولادته حوادث

١- بحار الانوار، ج ١٥ ص ٣٢٥.

٢- المصدر نفسه ص ٢٥٠.

٣- المصدر ج ١٥ ص ١٢٥.

مختلفة سواء في السماء أو في الأرض، وخاصة في الشرق الذي كان مهد حضارة ذلك العصر، وجاءت هذه الحوادث وكأنها تريد أن تؤدي دور وكالات الأنبياء السريعة في عصرنا هذا لتنبئ عن وقوع حادث خطير.

ولأنه كان مقدرًا لهذا الوليد الجديد أن يحطم طواغيت عصره ويقضي على كل تلك العادات والسنن البالية ليقم على انقاضها أسس التقدم والرفي البشرية... لهذا كله كان لابد لصفارات الإنذار أن تعلن انتهاء عهد الظلام وبداية النور. ومن هذه الحوادث أن أيوان كسرى أنوشيروان الذي كانت الأنظار مشدودة إليه وإلى صاحبه حيث كانت ترى فيه مثلاً أعلى للقدرة والسلطان الذي لا يزول... هذا الأيوان اضطرب في تلك الليلة و مادت به الأرض فسقطت أربع عشرة شرفة من شرفاته...

وهناك أيضاً نار فارس قد خبت وانطفأت فجأة ولأول مرة منذ ألف سنة<sup>١</sup> وهكذا تنبه سدنة معابد النار والكهان الذين منعهم حجب التعصب والتقليد الأعمى عن التفكير في آيات الله في الكون وفي أنفسهم، هؤلاء تنبهوا إلى أن للسماء خبراً وأن لهذا اليوم شأنًا خطيراً.

وكان لجفاف بحيرة ساوة أثر في تنبيه منطقة أخرى لحقيقة ما يجري على وجه الأرض<sup>٢</sup>.

### حليمة مرضعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم

كان العرب منذ القدم قد اعتادوا على تسليم أطفالهم إلى المراضع اللاتي كنّ يسكنن البادية وذلك لتنشئة الطفل نشأة سليمة. ففي البوادي يتوفر الهواء الطلق والحياة الهادئة البعيدة عن صخب المدينة وضوضائها، أضف الى كل ذلك الفصاحة في اللغة العربية، حيث كان منبعها الأصيل سكان البوادي البعيدين عن الاختلاط بغير العرب<sup>١</sup>. لهذا الأمور من جهة ولقلة لبن آمنة من جهة أخرى ارتأى عبدالمطلب جدّ محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكفيله أن يختار للوليد الحبيب محمد صلى الله عليه وآله وسلم مرضعة نجبية يطمئن إليها في رعايته والعناية به، و كان أن وجد حليمة بنت أبي ذؤيب وهي من قبيلة بني سعد المعروفة بشجاعتها وفصاحتها، و حليمة هذه تعد من النساء الأصيلات العفيفات وهكذا اصطحبت حليمة محمداً صلى الله عليه وآله وسلم الى ديار بني سعد في البادية وكانت ترعاه رعايتها لابنها بل أكثر من ذلك فقد كان قلبها قدامتلاً حباً و شغفاً بهذا الطفل منذ اللحظة الأولى التي أبصرته فيها.

و في تلك السنة كان قد أصاب بني سعد القحط ومسهم الضر والشقاء وأجدبت بهم الأرض فلامطروا ولا زرع ولا رعي. ولكن ما إن وصل محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى تلك الديار، إلا وبدأت البركة والخير تغمران منزل حليمة فقد سمت غنمها بعد الهزال، وزادلبنها بعد النضوب، ونعمت هي وأبناؤها

بِحياة راضية هادئة بعد حياة الفقر والعوز والفاقة.  
 ونما محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا كما ينمو غيره من  
 الأطفال، فقد كان أسبقهم عدواً و أفصحهم لساناً.  
 وكانت حالة اليمين والبركة التي حلت مع محمد صلى الله عليه  
 وآله وسلم بين بني سعد واضحة وقد أدركها بسهولة واعترفوا بما لهذا  
 الرضيع من شأن حتى أن الحارث زوج حليلة قال لها يوماً: «تعلمي  
 يا ابنة أبي ذؤيب إنك قد حملت نسمة مباركة»<sup>١</sup>.

## محمد صلى الله عليه وآله وسلم في غمرة الأحداث

كان محمد صلى الله عليه وآله وسلم قد بلغ السادسة من عمره  
 المبارك حينما خرجت به أمه آمنة إلى يثرب لزيارة أخواله من بني  
 النجار<sup>٢</sup> إضافة إلى زيارة قبر زوجها الحبيب عبدالله، وبعد أن قضا  
 وطهرهم من زيارة يثرب قفلوا راجعين إلى مكة، وفي الطريق تلم  
 العلة بآمنة ولا تكاد تصل إلى «الأبواء» حتى تودع هذه الدار و  
 تلتحق بالرفيق الأعلى<sup>٣</sup> وهكذا يحرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم من  
 حنان أبيه وعطفها وهو في السن التي يحتاج فيها أمثاله إلى رعاية  
 الوالد ومحبة الوالدة.

## صفات وملامح محمد صلى الله عليه وآله وسلم

لم تكن ولادة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما صاحبها من

١ - مقتبس من بحار الأنوار والسيرة الحلبية وسيرة ابن هشام.

٢ و ٣ - سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٦٨.



حوادث خارقة فحسب بل كانت سيرته وهو في طفولته متميزة عن أقرانه وأمثاله وهذا هو ما كان يدعو عبدالمطلب إلى اعزازه واحترامه بشكل مثيراً.

و هذا هو عمه أبوطالب يصف طفولة ابن أخيه فيقول: «لم أجد لمحمد كذبة قط ولا عملاً مخالفاً للحكمة، لم يكن ليضحك في غير محله، أو يتكلم فيما لايعنيه و كان يقضى جلّ وقته وحيداً»<sup>٢</sup>.

و ما إن بلغ محمد صلى الله عليه وآله وسلم السابعة من عمره حتى كان لليهود شأن معه فقد كانوا قد قرأوا أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يمكن أن يأكل الحرام وأنه يجتنب ما فيه شبهة، فسرقوا دجاجة وأرسلوها إلى أبي طالب وراقبوا هذه العملية فأكل الجميع لعدم علمهم بأصل القضية إلاّ محمداً فقد امتنع عن الأكل وحفظه الله عن أكل الحرام لئلا يترنّى لحمه ودمه على الحرام وهو المعدّ لحمل رسالة الله إلى البشرية.

و هناك ادرك اليهود أن لهذا الطفل شأنًا وأنه هو الموعود<sup>٣</sup> و أما عبدالمطلب زعيم قريش و كبيرها فلم يكن يعامل محمداً كما يعامل باقي أحفاده بل كان دائماً يظهر رفعة مقامه و علو منزلته و يتنبأ بما يكون له من الشأن.

كان يوضع لعبد المطلب فراش في ظلّ الكعبة و كان بنوه يجلسون حول ذلك الفراش إجلالاً لأبيهم و كان هيبة هذا الشيخ تمنعهم من الدنو والاقتراب منه إلا ذلك الطفل محمد

١ و ٢- مقتبس من بحار الانوار ج ١٥ ص ٣٨٢.

٣- بحار الانوار ج ١٥ ص ٣٣٦.

صلى الله عليه وآله وسلم فقد كان يدنو منه متى شاء وقد يسبقه إلى مكانه فيجلس فيه فيحاول أعمامه رده ومنعه عن ذلك وهنا ينبري الشيخ عبدالمطلب فيكفهم عنه ويقول «دعوا بني فوالله إن له لشأناً عظيماً» وهنا يتجاذب محمد صلى الله عليه وآله وسلم الحديث مع عبدالمطلب سيد مكة وعظيمها<sup>١</sup>.

١- بحارالانوار ج ١٥ ص ١٤٢، سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٦٨.

# خواطر من حياة محمد

(صلى الله عليه وآله وسلم)

## في طفولته وشبابه

## خواطر

طوى محمد صلى الله عليه وآله وسلم دور طفولته التي عانى فيها من ألم اليتيم... في ظلّ جدّه الكبير عبدالمطلب، وعمّه الرّؤوف أبي طالب، و كأنّ هذه السّنوات الأولى من عمره المليئة بالآلام اليتيم الذي كان ولاشكّ باعثاً على الحزن العميق والأسى الشديد، في نفسه الشريفة... كأنّ هذه السّنوات كانت ضرورية ولازمة لوضع الأسس القويّة لشخصيته العظيمة، فقد أعطته هذه الأحداث وما صاحبها من آثار درّساً مؤثراً في الصبر على المكاره، و تحمّل المسؤوليات الثّقيلة التي كان يعدّ للقيام بها في المستقبل.

و بدأ محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) يتخطى مرحلة الطفولة ليدخل دور الفتوة والشباب الذي تتفتح فيه القوى والقابليّات، و تنمو فيه المدارك والغرائز... و لئن كان قد حرم رعاية الوالد وحنان الأمّ و هو أحوج ما يكون إليهما فإنّ الله تعالى هياً له من عمّه أبي طالب خير زرع و كفيل، و قد كان عند حسن ظنّ أبيه عبدالمطلب حينما عهد إليه أمر رعاية محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) و كفالته من

بعده.

وقام أبوطالب بالمهمة خير قيام فاغدق عليه من حبه وخصه بعطفه وضمه إلى عائلته وأسكنه بيته، وكيف لا يكون كذلك ومحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ذكرى أخيه الشقيق ووصية والده العظيم؟ وهكذا صار أبوطالب الأب الثاني لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والعم الوفي، والمربي المخلص وتوطدت رابطة الحب والمودة بين العم وابن أخيه، حتى لم يعد أحدهما يستطيع أن يفارق الآخر، فكان أبوطالب يأخذ بيد محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ويدور معه في أسواق العرب، مثل (عكاظ) و (ذي المجاز)، وحتى حينما عزم أبوطالب على السفر إلى الشام في تجارة له، فإنه لم يقو على فراق محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وخاصة حينما وجد أن هذه الرحلة قد صادفت هوى في نفس محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ورغبة إليها، فصمم على اصطحابه، قائلاً لأهل بيته: والله لأخرجن به معي ولا يفارقني، ولا أفارقه أبداً.

و حينذاك ركب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الناقة ليقطع طريق الشام الطويل بادئاً بذلك رحلته الأولى إلى الشام<sup>١</sup>.

**حديث بجري الراهب مع محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).**

في أحد الأيام، وفيما كانت قافلة قريش التجارية تقترب

من (بُصرى) ١ أطل راهب يسمّى (بحيرى) من صومعته، ولشد ما تملكته الحيرة والعجب حين رأى قافلة تتجه صوب بصرى، و قطعة من الغمام قد ألفت ظلها فوق بعضهم، تسير معهم إذا ساروا وتقف إذا وقفوا، وتتجه حيثما اتجهوا

فلما رأى بحيرى ذلك نزل من صومعته، ثم ارسل إليهم أحد غلمانه قائلاً:

«إني قد صنعت لكم طعاماً يامعشر قريش فأنتم اليوم ضيوفى».

فاستجابوا لدعوته، و حضروا عنده و تخلف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من بين القوم حداثة سنه، و بقي عند رحالهم.

و لم يجد فيهم بحيرى طلبته وغايته، فسأهم، هل بقي أحد منكم لم يحضر؟ فأجابوه أن قد حضر جميعهم إلا غلام هو أحد ثمهم فقال بحيرى: أدعوه فليحضره هو الآخر معكم.

و ذهب بعضهم فأحضر محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) فلما رآه بحيرى جعل يلحظه لحظاً شديداً ويحدق فيه، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا، قام إليه بحيرى، و جرت بينها المحاوره التالية:

بحيرى: يا غلام، أسألك بحق اللآت و العزى إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه.

محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): لا تسألني بالآلات و العزى

فوالله ما أبغضت شيئاً قط مثلها، وليساهما سوى صنمين من حجر يعبدهما قومي.

بحيرى: فبالله عليك الآ ما صدقتني فيما سألتك.

محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): سل عما بدالك فإنني صادق دائماً.

و بعد محاوره قصيرة بينها وقع بحيرى على يديه وقدميه يقبلها ويتمم قائلاً: هو ذاك ... هو ذاك ويسأله أبوطالب: أتى شيء هو؟

فيقبل بحيرى على أبي طالب ويقول له: ما هذا الغلام منك؟ فيجيب أبوطالب: إنه ابني.

بحيرى: ما هو بابنك ، و ما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً.

أبوطالب: صدقت فانه ابن أخي.

بحيرى: صدقت فارجع بابن أخيك إلى بلده و احذر عليه يهود فوالله لئن رأوه و عرفوا منه ما عرفت ليسعون في هلاكه فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم.

أبوطالب: ماذا سيفعل، و ما هو شأن يهود معه؟

بحيرى: لقد رأيت في عينيه علامات النبوة.

أبوطالب: و من أين عرفت ذلك؟

بحيرى: من الغمامة التي كانت تظله، من الكتب التي

رأيت فيها أوصافه و نعوته، من نبرات صوته الروحية، و من أمور أخرى.

و أخيراً قال له أبوطالب: سوف لن يتركه الله و سيحفظه

من شر أعدائه اليهود<sup>١</sup>.

وتحرك الركب عصر ذاك اليوم وسرت همهمة بين القوم عما دار وكلهم ينظر إلى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) و كل يقول شيئاً.

### رعى الغنم وأثره في حياة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

على الرغم من أنّ أباطالب كان معدوداً من زعماء قريش وكبارها إلا أنّ أمواله لم تكن تفي بحاجته في إقامة إوّد عائلته الكبيرة، و سدّ متطلّباتها، و ما ان بلغ محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) مرحلة الفتوة و الشباب، حتّى أحبّ أن يتخذ لنفسه عملاً يخفف به عن كاهل عمه و الآن لننظر ماذا ينتخب لنفسه من عمل ينسجم مع روحيته و يوافق ميله؟

إنّ الله تبارك و تعالى كان قد قدر لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يكون نبياً للإنسانية جمعاء، و يتسلم زمام القيادة التي تستلزم إمكانيات روحية و نفسية هائلة، خاصة و أنّه سيواجه ذلك الركام الضخم من العقائد الباطلة و التقاليد الخاطئة التي كانت تتحكم في عقول الناس و سلوكهم و لا بدّ أنّه سيواجه لذلك مقاومة شديدة من أولئك الذين وجدوا آباءهم على ملّة و هم على آثارهم مقتدون لهذا كله فقد ألهمه الله تعالى أن يختار لنفسه الرعى مهنة و

١- مقتبس من سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٨١، بحار الأنوار ج ١٥ ص ١٩٣-٢٠٤، اعلام



حرفة لما فيها من تحرر من ضوضاء المدينة وجدال أهلها و فسوقهم و انغماسهم في شهوات الدنيا من جهة ولأنها من جهة أخرى توفر له فرصة مناسبة للتفكير والتأمل في مظاهر الطبيعة الحرة التي يعيشها وجها لوجه في الصحراء ولاشك أن لكل هذا تأثيره الكبير فيما يستعد له محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في المستقبل.

و هكذا بدأ محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يرعى غنم أهله و غنم الآخرين في أطراف مكة<sup>١</sup> وقد ظهرت في هذه المرحلة من حياته (صلى الله عليه وآله وسلم) مظاهر امانته وحرصه على أموال الآخرين وعدم تطاوله على ماتحت يده من الغنم وأصوافها وألبانها حتى أنه اشتهر بين أهل مكة بـ (محمد الأمين)<sup>٢</sup>.

## عفته و طهارة نفسه و تعالیه عن المغريات

حيثما تبدأ الغرائز والقوى عند الإنسان بالتفتح إثر مرحلة البلوغ، يكون الطفل قد تحظى مرحلة الطفولة ودخل مرحلة هامة و خطيرة من مراحل حياة الإنسان ألا وهي مرحلة المراهقة التي تمتاز بتبج الغرائز عند الشاب وفورانها والبحث عن اشباعها، وفي هذه المرحلة الحساسة بالذات يكون الشاب معرضاً للانحراف الأخلاقي، و التلوث، و ارتكاب الخطيئة والانزلاق في الشهوات و إذا لم يكن هناك من مراقب و مرب يأخذ بيدهذا الشاب و يحميه عن السقوط في الرذيلة أو إن لم يسع الشاب نفسه في حفظ نفسه عن اللهو والعبث

وتهذيب غرائزه والسموها عن عالم المغريات، إن لم يحدث هذا أوداك فلاشك أنه سوف ينحدر إلى وادي الشقاء السحيق الذي قد لا يمكنه أن يرى للسعادة لونها بعده ومحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي كان يعيش في بيئة منحرفة قد اتخذت اللهو واللعب والعبث شعاراً لها و قد غيرت الرذائل الخلقية والمآثم سماتها وآفاتنا واستهوى الجنس ومغرياته شباهابل و جتى كهوها وشيها إلى الحد الذي كانت ترتفع معه بعض الأعلام البيض (بل السود في حقيقتها) فوق بعض البيوت الداعرة معلنة و بكل وقاحة و صلف عن وجود بغي من الساقطات تلبي شهوات أولئك الساقطين، نعم إن محمداً (ص) الذي كان بلغ مرحلة شبابه في مثل هذا المجتمع المنحط الفاسد ورغم أنه لم يتزوج قبل الخامسة والعشرين من عمره إلا أنه لم يتأثر بما حوله أبداً ولم تصدر عنه خطيئة او عمل مشين مهما كان صغيراً، بل إن الجميع أحبباء كانوا أو أعداء كانوا يشهدون له على أنه مثال الكمال والفضيلة والأخلاق.

و يتضح هذا الأمر بكل جلاء في الأشعار التي أنشدت بمناسبة زواجه من خديجة والتي كان منشدوها يذكرون فيها جملة من صفات محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) و كمالاته.

فلنستمع إلى هذا الشاعر حيث يقول:

أخديجة نلت العلي بين الورى	وفخرت فيه جملة الثقلان
أعنى محمداً الذي لامثله	ولد التسلف في سائر الأزمان
فله المكارم والمعالي والحيا	ماناحت الأطيوار في الأغصان <sup>١</sup>

وهذا شاعر آخر يقف خاشعاً في محراب فضائل (محمد  
صلى الله عليه وآله) وسلّم فيقول:  
لو أن يوازن أحمد . . . بالخلق كلهم رجح  
و لقد بد امن فضله . . . لقريش أمر قد وضح<sup>١</sup>



# الزَّوْجُ الْأَوَّلُ لِمَحَمَّد

(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)

دور المراهقة، هودور الفتوة. دور تفتح الغرائز وبروز القوى الجنسية عند الأفراد وحينما يصل الفتى أو الفتاة إلى هذه المرحلة يحسّون في أعماقهما بحاجة كلّ منهما إلى الجنس الآخر، وإذا لم يلبّيا هذه الحاجة الملحة ويشكلا بيت الزوجية، فإن سعي ذلك الإحساس سوف يشتد و يشتد حتى يفسد عليها سعادتها ويحرمها من لذة الطمأنينة والهدوء.

و من هنا كانت نظرة الإسلام الواقعية إلى هذا الموضوع فهو يرى ضرورة تلبية هذه الغريزة الإنسانية ولكن بالشكل الصحيح المنظم كى لا يقع المجتمع فريسة للطغيان الجنسي .  
لهذا فإن الإسلام يوصي بالزواج المبكر، ويدعو الناس إلى الاعتماد على الله تعالى وعدم الخوف من الفقر و تكاليف الأسرة في المستقبل.

فيقول تعالى: «وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ»<sup>١</sup>

ولكننا نجد في بعض الحالات أن الحالة المعيشية لبعض الأفراد لا تمكّنهم من تهيئة الشرائط الأولية للزواج ولا شك أنه في مثل هذه الحالة لا بد من السعى والعمل لتهيئة الظروف اللازمة و المساعدة للزواج وحتى تحين تلك الساعة لا بد للإنسان من أن يتكل على تقواه ويعتمد على عفته و هنا تقول الآية الكريمة:

«وَلَيْسْتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ»<sup>١</sup>.

كان محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قد بلغ الخامسة والعشرين من عمره الشريف إلا أنه كان يعيش ظروفاً مالية صعبة لم تكن تسمح له بالإقدام على الزواج لذا بقي منتظراً توفر الإمكانيات اللازمة و تهيئة شرائط و مستلزمات الحياة الزوجية.<sup>٢</sup>

## اقترح خديجة

كانت خديجة امرأة ثرية و ذات شرف و منزلة، و كانت تستأجر الرجال ليتجروا لها في أموالها مقابل مقدار من المال يجعله لهم.

فلما بلغها عن محمد (ص) ما بلغها من صدق حديثه، و عظم أمانته و كرم أخلاقه التي كانت حديث الناس في نواديهم و مجالسهم بعثت إليه، و عرضت عليه أن يخرج في مال لها الى الشام و يتجربه

١ - سورة التور الآية ٣٣

٢ - أعيان الشيعة ج ٢ ص ٨، السيرة الحلبية ج ١ ص ١٥٢.

مع غلام لها يقال له ميسرة، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار، فقبل محمد (ص) بهذا العرض عله بذلك يستطيع أن يساعد عمه أباطال الذي كان بلغ به الكبر واشتد عليه الزمان مع كثرة في العيال وقلة في المال.<sup>١</sup>

### من هي خديجة؟

هي خديجة بنت خويلد و كانت امرأة حازمة شريفة لبيبة وقد تزوجت مرتين من بني مخزوم، كان زوجها الأول هو (أبوهالة) فلما توفي تزوجت من (عتيق المخزومي) الذي توفي هو الآخر، و كان هذا مما جعلها من أوفر أهل مكة غنى، و مع أنها كانت قد بلغت الأربعين من عمرها، فقد تقدم لطلب يدها العديد من كبار قريش، نظراً لشرفها ونسبها وأموالها، إلا أن خديجة ردت كل أولئك لأنها كانت تعتقد أنهم إنما تقدموا طمعاً في مالها ولأنهم ليسوا أكفاء لها.<sup>٢</sup>

### محمد (ص) يسافر الشام

في الوقت الذي كانت فيه قافلة قريش التجارية تتهيأ للسفر إلى الشام كان محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قد هياً نفسه هو الآخر لهذه الرحلة وقد استدعت خديجة غلامها ميسرة وأمرته أن

١- سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٨٨، بحار الانوار ج ١٦ ص ٢٢.

٢- بحار الانوار ج ١٦ ص ١٢ تاريخ الطبري ج ٣ ص ١١٢٧.



يلازم محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) ويقوم على خدمته.  
ونحن وإن كنا لانستطيع أن نأتي على كل تفصيلات هذه  
الرحلة وما انطوت عليه من أمور إلا أننا نستطيع أن نقول باختصار:  
إن هذه الرحلة كان عميمة الخير والبركة من جوانب عديدة.

فهي أولاً قد درت رحا وفيراً على محمد (صلى الله عليه وآله  
وسلم) وخديجة، وثانياً أنها أظهرت شخصية النبي (صلى الله عليه وآله  
وسلم) بصورة أجلى عند زملاء السفر من قریش، أضف إلى ذلك لقاء  
النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) مع الراهب المسيحي<sup>١</sup> الذي تنبأ  
بما يكون له من شأن عظيم حسب علامات وجدها فيه وأخيراً فقد  
كانت هذه المرحلة إحدى مقدمات الزواج الميمون، زواج محمد  
(صلى الله عليه وآله وسلم) وخديجة وبعدهم عازمت القافلة على  
الرجوع وأشرفت الرحلة على الانتهاء وباع محمد (صلى الله عليه وآله  
وسلم) واشترى ما اراد، ثم قفل راجعاً إلى مكة، فلما قدموا إليها  
تحدثت ميسرة إلى خديجة عن رحلتهم واصفاً ربحهم الكثير والبركة  
التي غمرتهم، وشرع يروى لها عن محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) و  
ما ظهر على يديه من الكرامات، وما صاحبه من العجائب، و  
ما سمعه من قول الراهب عنه<sup>٢</sup>.

ولما سمعت خديجة كل هذا من ميسرة مع ما كانت تعرفه  
عن فضله ونبله، وما كان من أقوال أحد علماء اليهود في شخصية

١- سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٨٨، وهذا الراهب غير الراهب بجرى الذي التقى به  
النبي (ص) في رحلته الأولى حينما كان غلاماً مع عمه أبي طالب.

٢- الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٣٩ ط بيروت.

محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) و علو شأنه و تزوجه من خير نساء قريش - أي خديجة - كل هذه الأمور طبعت حب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في قلب خديجة، و تمننت من أعماقها أن يتسنى لها الزواج من محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي صار في نظرها الزوج المثالي الذي كانت تطلبه و تبحث عنه، و قد زاد من شوقها لهذا الأمر أنها كانت قد ذكرت لابن عمها ورقة بن نوفل - و كان نصرانياً قد تتبع الكتب الأولى - ما قاله لها غلامها ميسرة من حديث الزاهب و من الظل الملازم له و من الأمور الأخرى، عندها قال ورقة:

لئن كان هذا حقاً يا خديجة، إنَّ محمداً لنبي هذه الأمة<sup>١</sup>.  
ولكن كيف تصل إلى هذه الأمنية؟ إذ ليس من السهل أن تصارحه بذلك مع ماهي عليه من الشخصية المتينة والمكانة المحترمة بين نساء قريش<sup>٢</sup>.

## اقترح الزواج

بعثت خديجة صديقتها و صاحبة سرها «نفيسة بنت منية» إلى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لتبحث معه حول موضوع الزواج و تنظر رأيه في ذلك، و ذهبت نفيسة إلى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)

١- سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٠٣، بحار الأنوار ج ١٦ ص ٢٠ - ٢١.  
٢- ذهب ابن إسحاق كما يذكر ذلك ابن هشام في السيرة النبوية إلى أن خديجة عرضت نفسها على النبي بدون وساطة، و يذهب الآخرون إلى أن ذلك قد حصل بوساطة تمت على يد أخت خديجة أو صديقتها نفيسة.

وقالت له:

ما يمنعك أن تتزوج؟ فأجابها محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ليس عندي ما أتزوج به.

قالت: فإن كفيت ذلك ودعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة الاتحيب؟

قال محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من هي؟

أجابت نفيسة: خديجة.

قال محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): كيف لي بذلك، وهي التي قدردت أشرف قريش وأغنياءها.

قالت نفيسة: على ذلك وسأقوم به<sup>١</sup>.

وما ان اطمأن محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أن خديجة ترغب في الزواج منه حتى ذكر ذلك لأعمامه الذين فرحوا وباركوا بدورهم هذا الزواج، ونهضوا معه إلى بيت خديجة حيث تمت الخطبة، واحتفل بعدها بالزواج<sup>٢</sup>.

وقد قضى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) خمسة وعشرين سنة مع خديجة كانت من أفضل أيام حياته الزوجية، ولم تكن خديجة الزوجة الصالحة فقط بل أنها كانت فوق ذلك خير ناصر و معين لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في حياته قبل الرسالة و بعدها ولقد كانت أول من آمن بدعوته من النساء و وضعت جميع ماتملك

١- السيرة الحلبية ج ١ ص ١٥٢، حياة محمد ص ١٢٢، أعيان الشيعة ج ٢ ص ٨.

٢- بحار الانوار ج ١٦ ص ٥٦-٧٣.

من الأموال تحت تصرفه لينفقها في سبيل الإسلام<sup>١</sup>.  
 وقد رزقه الله من هذه الزّواج ستّة أولاد، منهم ابنان هما،  
 القاسم والطاهر اللذان ماتا في مكّة قبل البعثة وهما طفلان.  
 وأربعة بنات هن رقية وزينب وأمّ كلثوم وفاطمة (ع) التي  
 كانت أفضلهن<sup>٢</sup>.

و نظراً لما بذلته خديجة من تضحيات و ما اتسمت به من  
 وفاء وفداء لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ورسالته فقد كانت أثيرة  
 عنده يكتن لها الحب العميق لاني حياتها و حسب بل و حتى بعد  
 مماتها إذ ما كان يتذكرها إلا و تظهر عليه علامات الحزن و التأثير<sup>٣</sup> و  
 قد كان يبكي أحيانا لفراقها.

و على أيّ حال فقد تزوج محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)  
 خديجة و عمرها أربعون و انتقلت إلى جوار ربها في الخامسة والستين  
 أي بعد بعثة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعشر سنين ولم يتزوج  
 النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) غيرها مدة حياتها إكراماً و  
 إعظماً لها.

رحم الله خديجة فقد كانت مثلاً للزوجة المخلصة الأمينه  
 المؤمنه.

١- بحار الانوار ج ١٦ ص ١٠-٧١، اعيان الشيعة ج ٢ ص ٨.

٢- بحار الانوار ج ١٦ ص ٣، اعلام الوري ص ١٤٦، اعيان الشيعة ج ٢ ص ١٨.

٣- بحار الانوار ج ١٦ ص ١٣.

# تعدد زوجات النبيّ

(صلى الله عليه وآله وسلم)

## على واقعه

## نماذج من تهم المسيحيين (المستشرقين)

في أوائل القرن الثامن عشر الميلادي بدأ كُتّاب المسيحية الحاقدون شنّ هجمة شرسة، من خلال الكتب المملوءة بالأكاذيب والدسّ و الافتراء مستهدفة النيل من الإسلام و مفاهيمه و تاريخه بشكل عام، و تشويه الصورة الحقيقية لشخصية رسول الإسلام العظيم، ليضلّوا الناس و يصرفوهم عن الاهتمام بالإسلام و التوجّه إليه.

والمصادر الأولية التي كان يعتمد عليها هؤلاء الكتاب هي بعض التآليف الحاقدة التي ألفت في القرون الوسطى المظلمة في أوروبا من قبل بعض المؤلفين المسيحيين الذين أعمت العصبية بصائرهم، فحالت بينهم وبين إدراك الحقائق؛ ويمكننا بهذا الصدد ان نشير إلى كتاب (ردود على دين محمد) الذي صدر في القرن الخامس عشر للمدعو «جان أندريه مور» (J. A. Maure) وهو يعتبر مرجعاً هاماً لأكثر من جاء بعده من الكتاب المسيحيين في كتاباتهم المعادية للإسلام، نظراً لجهل هؤلاء الكتاب باللغة العربية من جهة،

وانعدام المصادر الإسلامية في مكباتهم من جهة أخرى. و كانت النتيجة أن قنع هؤلاء باستنساخ الكتاب المذكور كمصدر أصيل للتعرف على الإسلام و تصوراته و مفاهيمه. نعم، إن هؤلاء الكتاب الذين نجد « كتابهم المقدس » ينسب بصراحة جريمة الزنا إلى بعض الأنبياء و يتهمهم بارتكابه<sup>١</sup> لا يمكن أن نتوقع منهم حينما يتحدثون نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا أن يكتبوا ماشاءت لهم عصبيتهم التي أشربت في نفوسهم و إذا بهم يكتبون أن محمداً كان رجلاً مهووساً شهوانياً. و أنه في الوقت الذي كان يمنع أتباعه عن اتخاذ أكثر من أربعة زوجات دائمات، كان يتخذ لنفسه أكثر من هذا العدد بكثير<sup>٢</sup>.

لقد صورت لهم أوهاامهم الفاسدة أنهم بتلفيق هذه الأكاذيب يستطيعون تشويه صورة نبي الإسلام في ذهن القارئ المسيحي الذي لا يعرف شيئاً عن الإسلام و أنهم بهذا العمل يحولون بين الإسلام و بين تقدمه السريع و انتشاره الواسع، ولكن محاولتهم هذه باءت بالفشل الذريع كسائر محاولاتهم التي ثبت زيفها و عدم تأثيرها.

و لم يطل الوقت، فقد ظهر كتاب و علماء مسيحيون منصفون جعلوا البحث العلمي الموضوعي البعيد عن التعصب مهما أمكن شعاراً لهم، و منهجاً، و انبروا للدب عن ساحة نبي الإسلام و الدفاع عن شخصيته العظيمة، و الاعتذار في الوقت نفسه عما تعرض له

١- الكتاب الثاني لصموئيل الاصحاح ١١.

٢- حياة محمد (ص) ص ٣١٥.

النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والقرآن الكريم من جملات ظالمة شنتها أقلام قومهم المتعصبة.

إننا في الوقت الذي لانشك فيه أن مثل هذه الأساطير والأكاذيب ليس لها مجال في مثل مجتمعنا الاسلامي الذي يؤمن ويعتقد بعصمة الأنبياء عليهم السلام إلا أننا نجد من الضروري بيان الحقيقة ساطعة وبكل وضوح لأولئك الذين لا يتفقون معنا في هذه العقيدة ولا يلتقون مع نظرنا في عصمة الأنبياء.

## حكم التاريخ وقضاؤه

لقد ذكر محققوا التاريخ المنصفون من المسلمين والمسيحيين على حد سواء أنّ الزواج المتعدد للنبي لم يكن اتباعاً للهوى وكيف يمكن أن يتصور ذلك في حقّه (ص) وهو الذي قد تزوج أول مرة حينما كان في الخامسة والعشرين من عمره، أى في عنفوان شبابه وفي المرحلة التي يتعلق فيها حلم الشاب بزوجة شابة جميلة، تزوج بالسيدة خديجة بنت خويلد التي كان لها من العمر حينذاك أربعون سنة، و بعد أن ودعت جمالها ونشاطها وشبابها مع زوجها السابقين...؟

و مع هذا فإننا نرى النبي محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) يعيش مع هذه السيدة الجليلة قرابة خمس وعشرين سنة في سعادة تامة وهناء لا يشوبه اختلاف، وأنه في كل هذه المدة لم يتزوج من غيرها مع كثرة الراغبين فيه من بنات مكة وفتياتها اللاتي كنّ يفتخرن و يباهين بالزواج من محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الصادق



الأمين لوتستى لهّن ذلك .

إذن فلا شكّ في أنّ محمّداً (صلى الله عليه وآله وسلّم) لو كان شخصاً قد تملكته الشهوة الجنسيّة لما امتنع كل هذه المدّة الطويلة عن التزوّج من فتاة جميلة شابة تقاربه في السن و تدانيه في الفتوة والشباب .

## استجواب للمستشكلين

إذا أراد أحد أن يسأل هؤلاء ما هو السبب الذي دعى الرسول الأكرم (ص) و هو في قمة شبابه أن يتزوج بسيدة ارملة قد تحطت سن الشباب و تجاوزت الأربعين من دون أن يتزوج من غيرها طيلة حياتها، ولكنه في السنين العشرة الأخيرة من حياته (ص) حيث كانت الشيخوخة من جهة و مشاكل الدولة الإسلاميّة الفتية داخلياً و خارجياً من جهة أخرى، لا تسمحان له بفرصة التفكير في النساء عادة... لكنه مع ذلك يقدم على التزوج من نساء عديدات؟  
أليس في حفظ النساء الارملات و رعاية أيتامهن ترويض كبير للنفس؟

أم هل يتفق العيش مع نساء عديدات، لكل منهن أخلاق و صفات و أذواق خاصّة... مع الهوى و اللذة و التمتع؟  
هذه كلها أسئلة نوجهها إلى هؤلاء المفترين، ولكنها تبقى حائرة دونما جواب. و لا بد لهم أخيراً من أن يعترفوا بأنّ محمّداً (صلى الله عليه وآله وسلّم) لم يكن أبداً من أولئك الذين تستهونهم

الشهوات، وتستولى عليهم اللذائذ الجنسية وأنهم إنما اتهموه بكل ذلك، عناداً منهم وظلماً وتعصباً لا غير.

و أخيراً لنستشهد بكلمة لأحد منصفي المستشرقين وهو «جان ديون بورت» حيث يقول:

«هل من الممكن لرجل تستهويه الشهوة، وفي محيط وبيئة كان تعدد الزوجات فيه عملاً عادياً وطبيعياً أن يقنع بزوجة واحدة لمدة خمس وعشرين سنة؟<sup>١</sup>»

### تعداد أزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

اختار النبي (ص) بعد وفاة خديجة عدة زوجات، و من جملتهن: سودة، عائشة، غزية، حفصة، أم حبيبة، أم سلمة، زينب بنت جحش، زينب بنت خزيمة، ميمونة، جويرية، صفية<sup>٢</sup>.

وهنا لا بد أن نبحث في الظروف التي كانت توجب على النبي (ص) أن يتزوج من كل هذه النساء، ويمكننا أن نقول أن تزوج النبي (ص) كان لعدة غايات وأهداف هي:

١- لأجل رعاية اليتامى والحفاظ عليهم من مكاره الدهر، بعد أن فقدوا كفيلاًهم وحاميتهم، خاصة وأن بعض تلك النساء كن في خطر أن تستردهن قبائلهن بعد فقد أزواجهن، و كان هذا العمل يحمل في ثناياه فتنة الكفر والارتداد الذي قد تتعرض له، كما في

١- كتاب «عُذْرُ تَقْصِيرِهِ بِبِشْكَاهِ مُحَمَّدٍ وَفُرْآنِ» فارسي ص ٣٥.

٢- بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٢٠٠-٢٠٤.

شأن سودة التي فقدت زوجها بعد الهجرة إلى الحبشة وبقيت بدون راعٍ وكفيل، فتزوجها النبي (ص) إذ كان قد فقد خديجة (رض) حينذاك<sup>١</sup>.

و كذلك الأمر في شأن زينب بنت خزيمة، فقد كانت أرملة قد فقدت زوجها وأشرفت على الفقر مع أنها كانت امرأة معروفة بالكرم وتعاهد الفقراء حتى عرفت بـ (أم المساكين) ولأجل إنقاذها من محنتها فقد تزوجها النبي (ص) وتوفيت في حياته<sup>٢</sup>.

وهكذا كان شأن «أم سلمه» فقد كانت امرأة محسنة و صاحبة أيتام و على جانب كبيرٍ من الإيمان والورع فتزوجها (ص) لأجل ذلك<sup>٣</sup>.

٢- لأجل القضاء على بدع الجاهلية و محوها و يتجلى ذلك في قضية زينب بنت جحش ابنة عمّة النبي (ص) التي كان زيد بن حارثة متبنياً للنبي (ص) قد تزوج بها، و كان هذا الزواج قد تمّ باقتراح و طلب من النبي (ص) لكي يكون مثلاً و دليلاً حياً على إلغاء الإسلام للطبقية والتعالى الأسرى، ذلك أنّ زينب كانت إحدى حفيدات عبدالمطلب كبير قریش وزعيمها، أما زيد فقد كان عبداً مملوكاً أعتقه النبي (ص) ثم تبناه من بعد.

و كانت زينب باعتبار شخصيتها و نسبها تتعالى على زيد و تفتخر عليه مما جعل حياتها الزوجية مشوبة بالمرارة و بعيدة عن

١- حياة محمد صلى الله عليه وآله وسلم للذكتور محمد حسين هيكل ص ٣١٩.

٢- حياة محمد ص ٣٢٠- بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٢٠٣.

٣- حياة محمد (ص) ص ٣٢١.

السعادة المطلوبة من الحياة الزوجية.

ولم تثمر نصائح النبي (ص) لهما بإدامة زواجهما و دفع الاختلاف من بينها مما أدى في النهاية إلى انفصام عرى الزوجية والطلاق.<sup>١</sup>

و بعد أن طلق زيد زينب. عقد عليها الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وذلك بأمر إلهي ودستور رباني للقضاء على عادة جاهلية كانت سارية المفعول في المجتمع آنذاك و كان لها آثارهم السيئة في أوساطهم.

ذلك أن العرب في الجاهلية كانوا يعتبرون الولد الذي يتبنونه ولداً واقعياً لهم يجرى عليه مايجرى على الأولاد الصليبين للرجل، لذا فإنهم لم يكونوا يتزوجون من نساء الولد المتبني كما لو كانت زوجة ابنه الحقيقي الصلبي.

ولنستمع إلى الآية الكريمة التي تذكر هذه القضية و ملابساتها فلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَا كَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا.<sup>٢</sup>

## الاتهامات الباطلة:

لقد ابتلى بعض الكتاب المسيحيين بالتعصب الأعمى ولم

١- بحار الانوار ج ٢٢ ص ٢١٤-٢١٨.

٢- الاحزاب: ٣٧.

يستطيعوا أن يحرّروا عقولهم وتفكيرهم مما دعاهم أن يلصقوا التهم المزيفة الكاذبة ويخترعوا من عند ياتهم بعض الأساطير، فنجدهم يصوّرون قضية زواج النبي (ص) من زينب حسب ما يشتهون و يعتبرونها قصة غرامية إذ أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حسب افتراءهم كان عاشقاً لزينب و مهوراً بجمالها الساحر الرائع و أنّه كان قد أبدى ذلك مما أدى إلى أن يطلقها زيد.

ولا يمكننا إذا أردنا أن نكون موضوعيين إلا أن نصف هذا الكلام بأنّه باطل من الأساس و أنّه يخالف جميع الشواهد العقلية والتاريخية المعتبرة إذ أنّ النبي (ص) إذا كان أسيراً لهواه إلى هذا الحدّ و يشغل فكره بسحر الفاتنات و جاهلن، و إذا كان جمال زينب بلغ هذه الدرجة الكبيرة التي جعلت النبي (ص) مفتوناً بها فما الذي كان قد منع النبي (ص) من الزواج بها حينما كانت فتاة باكراً تتمتع بنظارة و معنى خاص؟ أهل يمكن أن يقال أنه (ص) لم يكن يعرف عنها ذلك الجمال؟ كيف و هي لم تكن بعيدة عنه فهي ابنة عمته و قريبته؟ اللهم إنّهُ لا يمكن أن يتقول هذه الأقاويل إلا من أعمى التعصب بصره و بصيرته.

٣- زواج لأجل فكّ الأسراء و تحرير الأرقاء و ذلك في مثل زواجه ب (جويرية) التي كانت من قبيلة (بني المصطلق) المشهورة، و كانوا قد أعلنوا الحرب على المسلمين، و بعد معركة جرت بينها كان الغلب فيها لجيش المسلمين، تم أسر أعداد كبيرة من هذه القبيلة، و كان من بين الأسراء (جويرية) بنت الحارث كبير القبيلة و رئيسها، فأطلق النبي (ص) سراحها إكراماً لها و تزوج بها،

و حينما علم المسلمون بأن النبي صار صهراً لهؤلاء الأسراء الذين في أيديهم بادروا لإطلاق سراح هؤلاء الأسرى إكراماً لزواج النبي من جويرية... يقول ابن هشام (لقد تم تحرير مائة أسرة من بني المصطلق ببركة هذا الزواج)<sup>١</sup>.

٤- زواج من أجل الارتباط بالقبائل العربية الكبيرة و احتواء بعض أفرادها، و جلب حمايتهم، والحيلولة دون تخريبهم و تأليب الناس عليه و علي الدين الجديد و من هذا القبيل كان زواجه بعائشة، حفصه، أم حبيبة، صفية، و ميمونة.

أما (أم حبيبة) فإنها بنت أبي سفيان الذي كان و أسرته من أعدى أعداء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و اهل بيته في الجاهلية و الإسلام و كان زوجها مسلماً قد هاجر إلى الحبشة إلا أنه ارتد و صار نصرانياً ثم أدركته المنية، مما سبب اضطراباً و قلقاً بالغاً لأم حبيبة فقد كانت مسلمة لا تستطيع الالتجاء إلى أبيها و أسرته لما تعلم من عدائهم السافر للنبي (ص) و لدعوته ولكن النبي (ص) أنقذها من حيرتها فتزوج منها لكي يكون لها راعياً و كفيلاً من جهة، و لكي يكون في ذلك جلباً و استمالةً لقلوب بعض بني أمية (قبيلة أم حبيبة) من جهة ثانية<sup>٢</sup>.

و كذلك الأمر في (صفية) بنت (حتى بن أخطب) رئيس قبيلة بني النضير التي نقضت العهد مع النبي (ص) مما أدى إلى

١- سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٢٩٥.

٢- الإصابة والاستيعاب ص ٣٠٥، موسوعة آل النبي ص ٣٦٩-٣٧٤، سيرة ابن هشام ج

١ ص ١٢٣ اعلام الورى ص ١٤٢.

معركة بينها وبين المسلمين انتهت بغلبة المسلمين وكان من جملة المقتولين (حى بن أخطب) والد (صفية) وقد ارتأى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الزواج من صفية نظراً إلى مكانتها وشخصيتها بين أفراد قبيلتها مما أدى إلى إيجاد نوع من الصلة بين النبي (ص) وبين أكبر القبائل اليهودية عدداً أو أهمتها خطراً<sup>١</sup>.

و أما ميمونة فقد كانت هي الأخرى من قبيلة «بني مخزوم» العربية الشهيرة بين القبائل العربية و كان النبي قد تزوج بها عام<sup>٢</sup> للهجرة.

إذن يتضح لنا من كل ذلك أنّ نساء النبي (ص) ما عدا عائشة كنّ من الأرملة و أنّ أكثرهن قد تخطين سن الشباب والنضارة والفتوة و في هذا أكبر دليل على أنّ تعدد أزواج النبي (ص) كان في واقعه لأجل مصالح و أهداف مقدّسة، و غايات نبيلة، مما لا يدع مجالاً أبداً للإصاق تهم التهور الجنسي، و استعمار الشهوة بشخصية أعظم رجل عرفته البشرية و هو الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

١- موسوعة آل النبي (ص) ص ٣٤٥، اعلام الورى ص ١٤٢.

٢- بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٢٠٣، سيرة ابن هشام ج ٣ و ٤ ص ٣٧٢.





# شخصية الرسول الأعظم محمد

(صلى الله عليه وآله وسلم)

## قبل البعثة

## غريزة التقليد والمماشاة:

يعتقد علماء النفس أن المجتمع (البيئة، المحيط) هو الذي يكون ويوجد أساس الشخصية في الأفراد ويولد لديهم طريقة تفكيرهم، ونوعية تصوراتهم، وأن غريزة (التوافق والمماشاة) تجرهم إلى أن يقتفوا اثر المجتمع في أفكاره وسلوكه.

و إن كان البعض من هؤلاء قد أفرط في هذه النظرية واعتبرها قاعدة كلية عامة وغير قابلة للاستثناء ففسروا جميع الظواهر الاجتماعية على أساسها، إلا أننا لا يمكننا إلا أن نسلم بأن للمجتمع تأثيراً في روحية الأفراد ونمط تفكيرهم لهذا نجد أن مجتمع الفضيلة والتقوى يربّي ويوجد النماذج الصالحة المتّقية كما أن المجتمع الفاسد المنحرف يجرّ أفرادَه إلى هاوية الفساد والضلال، ولهذا ندرك أن الذين يستطيعون أن يشقوا طريقهم بعيداً عن خط سير المجتمع المنحرف ومن دون أن يتأثروا بمفاسده وأهوائه يعتبرون أناساً غير عاديين.

## مجتمع الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام

كان العالم كله والجزيرة العربية بشكل خاص غارقاً في بحار الجهل والفضى وكانت عامة العرب تحترق بنار الفساد والخرافات، وسحب الجهل السوداء قد حولت آفاق الحياة العربية إلى ظلام حالك، وجعلت أيامهم قاسية مريرة، يغمرها الشقاء والبؤس والاضطراب فما أكثر الأموال التي راحت من جراء غارات النهب والسلب وما أكثر الدماء التي أريقت ظلماً وعدواناً.

وكانت الأوهام والخيالات الفاسدة والامتيازات الطبقية قد سيطرت على المجتمع وتحكمت فيه وأحكمت قبضتها عليه، والشئ الوحيد الذي لم يكن له وجود في مجتمعهم هو القانون والعدالة.

الأغنياء القساة الجفاة يمتصون دماء الضعفاء و يأكلون مال اليتامى ظلماً، ويستثمرون الطبقة الفقيرة الكادحة أبشع استثمار، و يتيهون بعد ذلك كله في عالم التكبر والخيلاء والعظمة، و يتقبلون في أحضان الذهب والفضة، و يتنعمون بحياة البذخ واللهو والإسراف على حساب أولئك المحرومين.

وكان نهجهم في المعاملة والتجارة باطلاً و فاسداً إلى حد كبير، و كان كل من الزوجين مسؤولاً عن وفاء دين صاحبه فإذا عجزت المرأة عن دفع دينها و عجز زوجها عن أدائه عنها حبس الدائن زوجها حتى يفديه حقه<sup>١</sup>.

وبدلاً من أن يحصلوا على كمالهم بأنفسهم و يتخذوا من

تحصيل العلوم مفخراً لهم، كانوا يتكلمون على اجداد آبائهم وأسرتهم وقبائلهم، وقد يصل بهم الأمر إذا ارادوا والفخر بكثرة عددهم أن يذهبوا إلى المقابر لإحصاء قبور موتاهم لتكون شهادة إثبات على أنهم أكثر عدداً من قبيلة أخرى منافسة لهم.

كانت معاقرة الخمرة وارتكاب الزنا و ممارسة الأعمال الشهوانية، و سفك الدماء البريئة، قد أصبحت من أعمالهم اليومية المألوفة، ولا يشعرون حياها بأى نوع من الحياء والخجل.

فهذا (امرؤ القيس) الشاعر العربي المشهور يذكر في شعره (من معلقته الشهيرة: قِفَانَبْكَ ...) من دون تردد أو خجل غرامياته الفاضحة مع ابنة عمه (عنيزة) وعشقه لها، واتصالاته بها واختلاؤه معها. والأعجب من ذلك أنهم عدّوا شعره هذا من النماذج الرفيعة في الأدب العربي فاستحق بذلك أن يعلق على جدران الكعبة الشريفة<sup>٢</sup>. هذه صورة مختصرة عن الحالة العامة - خلقيا وسلوكيا - في ذلك المجتمع الذي شع نور الإسلام في آفاقه المظلمة.

ومن البديهي أن الإنسان الذي لا يتلوّن بصبغة هذه البيئة ولا يتلوث بأنجاسها، يعتبر ذا شخصية ملكوتية متميزة، وأنه يستحق بذلك قيادة الإنسانية و خلاصها من مشاكلها وأوضاعها البائسة.

## الأنبياء قادة المجتمعات لأتباعها

في الوقت الذي كان عامة الناس يتجهون صوب الأصنام،

١- مجمع البيان للطبرسي ج ١٠ ص ٥٣٤، الطبعة الجديدة.

٢- شرح المعلقات السبع للزوزني ص ٣.

كان محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي لم يتلق درساً من أحد يتجه وحده صوب غار «حراء» وهناك يقف خاشعاً متضرعاً وهو يتأمل في الكون وما أبدع فيه الخالق عز وجل من روائع تتجلى فيها عظمته و قدرته.

كان محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي أحاطه الله تعالى برعايته وعنايته قدميز طريق الحق المستقيم ومشى فيه بكل ثبات واطمئنان و من دون ترديد و اضطراب و قد بدأ خطواته الأولى في وجه أفكار قومه وعاداتهم الخاطئة وتقاليدهم البالية.

إنه (ص) لم يكن رافضاً لعبادة الأصنام— ولو للحظة واحدة من عمره الشريف— فحسب وإنما كان لا يطيق حتى سماع أسماءها كما مرّ عليكم في السابق وذلك حينما كان في الثانية عشرة من عمره المبارك والتقى ببحيرا الراهب فأقسم عليه هذا بحق اللات والعزى أن يجيبه على أسئلته، فأجابه النبي (ص) غاضباً لا تسألني باللات والعزى فوالله ما أبغضت كبغضها شيئاً!!<sup>١</sup>.

وقد كانت عظمته (ص) وطهارته وعفته حديث الناس في المجالس والمجالس الخاصة منها والعامّة. كما منحه صدقه وأمانته والاصه لقب (الأمين) الذي لازمه واشتهر به، ولقد كانت هذه الصفة المحببة هي التي دعت خديج (رضى الله عنها) أن تختاره ليتجر بأموالها.

إن أخلاق محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وسلوكه وتعامله مع

الناس بلغت حداً من الرفعة والسمو بحيث استطاع بها أن يدخل قلوب الناس ويجذبهم إليه. فعن عمار بن ياسر أنه قال: كنت راعياً مع محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل البعثة فاقترح عليه يوماً أن نذهب بأغنمانا في اليوم التالي إلى مرعى «فخ» فوافق على ذلك، ولما كان من الغد ذهبت إلى «فخ» فوجدت محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) قد سبقني إلى المرعى إلا أنه كان يمنع أغنامه من الرعى، ولما سألته لماذا تمنعها عن الرعى؟ أجاب (ص): «إني كنت واعدتك فكرهت أن أرعى قبلك»<sup>١</sup>.

وهكذا كان محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قد اختط لنفسه خطاً غير خط قومه، ولم يتأثر بعبادات قومه و سننهم، بل كان يحث الخطى في طريق الكمال حتى وصل أرفع درجاته تعينه على ذلك يد الغيب التي كانت ترعاه وتحافظ عليه وتصنعه على عينها. لهذه الأمور وغيرها كان الناس يكتون له احتراماً فائقاً، ويستعينون برأيه في كثير من المشكلات.

## حكم النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بين قريش في وضع الحجر الأسود

كان محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في الخامسة والثلاثين من عمره الشريف حين اجتمعت قريش لبناء الكعبة وترميم بنائها السابق ولما كانت قبائل قريش المتعددة تريد اقتسام هذا الفخر

ببناء الكعبة، لذا فقد جزأته وجعلت لكل قبيلة قسما منه. وقد بدأ الوليد بن المغيرة بالهدم وهو يقول: **اللهم إنا لآ نريد إلا الخير ثم تابعه الناس وأعانوه. حتى انتهى الهدم بهم إلى الأساس الذي بناه إبراهيم (عليه السلام) و هنا بدأت كل قبيلة ببناء قسم من البيت حتى بلغ البنيان موضع «الحجر الأسود» فاختصموا فيه كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى لتفتخر بذلك على سائر القبائل، وقد اتسع الخلاف حتى أنهم استعدوا للقتال فقربت «بنو عبد الدار» جفنة مملوءة دماً، ثم تعاقدوا هم و «بنو عدى بن كعب» على الموت و أدخلوا أيديهم في ذلك الدم علامة على التصميم على القتال والموت.**

وقد استمر هذا الخلاف الوحشي أربع ليال أو خمساً، ثم إنهم اجتمعوا في المسجد وتشاوروا فقال لهم أبو أمية بن المغيرة و كان أكبر قریش سنّاً «يامعشر قریش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه» فقبلوا اقتراحه و انتظروا أول من يدخل، فكان أول داخل عليهم هو رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فما رأوه قالوا هذا الأمين رضينا هذا محمد فلما وصل اليهم وأخبروه الخبر، قال (ص) هلم إليّ ثوباً، فأتى به، فأخذ الركن (الحجر الأسود) فوضعه فيه بيده، ثم قال (ص): لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعاً ففعلوا، حتى إذا بلغوا به موضعه أخذه و وضعه هو بيده ثم بنى عليه<sup>١</sup>.

وهكذا استطاع (ص) بحكمته و حسن تدبيره أن يجنب قريشاً فتنة خطيرة، كان من الممكن ان تؤدي إلى سفك دماء كثيرة وتجبر عليهم ويلات ومصائب عظيمة.

وقد أوضحت هذه القضية بشكل جلي الشخصية الاجتماعية العظيمة للنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كما أنها بينت بعض جوانب العظمة في آرائه الصائبة ونظراته الحكيمة.

و بهذا يعلم أنه (ص) كان أهلاً وكفوياً لمقام النبوة ورفع راية الإصلاح السماوي المقدس.



# بداية الوحي

## رسالة محمد (ص) العالمية

استطعنا في المقالات السابقة ان نتصفح بعض الأوراق والصفحات من حيات الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وقرأنا فيها لمحّة و نموذجاً من حياته المليئة بأسمى معاني السموّ والرفعة والجلال والعظمة.

ولنبداً الآن باستعراض أشدّ المراحل حسّاسية في حياته المقدسة.

عاش محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أربعين في مجتمع تتحكم فيه الفوضى والقلق ولا تبدو فيه للناظر أى آثار جلية أو معالم واضحة للحضارة والتمدن وكانت هذه الحالة المضطربة شديدة الإيلام لنفس الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الشريفة إذ كان (ص) لا يرى في مجتمعه المتدهور غير ظلمات الجهل والضلال.

فإذا ذهب إلى الكعبة— بيت التوحيد و مأوى الموحدين— طالعتة مناظر مؤلمة من عبادة الأصنام والاستكانة لها، بدلاً من أن يشاهد هناك — كما هو المفروض في مثل هذا المكان المقدس—

علامات التوحيد و عبادة الله الواحد الأحد.  
و إذا ترك الكعبة و ذهب ليتوغل في أوساط الناس و واجهته  
حالات و مناظر أئمة أخرى، فأفكار قومه الفاسدة و عاداتهم السخيفة  
كانت تغرقه في بحر من الأسى و الحزن.

و كانت آلام الفقراء و آهات المحرومين تؤلمه و تؤذيه و كم  
كان يشتد تأثيره حينما يشاهد سقوط منزلة المرأة اجتماعياً إلى أسوأ ما  
يتصور من السقوط هذا بالإضافة إلى ما يشاهده من آثار القمار  
و الخمر و القتل و الجريمة و مظاهر الفساد الأخرى التي شاعت و خيمت  
بظلالها السوداء على مجتمعه البائس.

كان محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يبتعد في بعض الأوقات  
عن ذلك المجتمع الأسود المظلم، و يلتجئ إلى غار «حرا» ليريح  
نفسه قليلاً و يتخلص من جو قومه الخانق الثقيل و ليستغل في ذلك  
المكان المنعزل الهادئ بعبادة ربه و مناجاته و كان ينظر من قلعه إلى  
آثار رحمة الله و إلى أنواع عجائب رحمته و بدائع حكمته... فيعتبر بتلك  
الآثار و يتذكر بتلك الآيات و يعبد الله حقّ عبادته<sup>١</sup>.

## محمد (ص) في سن الأربعين

بلغ محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الأربعين و قد صار مهياً  
لأداء رسالته السماوية العالمية<sup>٢</sup>.

١- بحار الأنوار ج ١٨ ص ٢٠٦.

٢- مناقب ج ١ ص ٤٠.

وفي أحد الأيام وبينما كان يتعبد في غار «حراء» إذ أحس فجأة بنور يملأ آفاق نفسه وروحه وبجراحة عجيبة تغمر وجوده. وبينما هو كذلك إذا بجبرئيل — ملك الوحي — يشره بالنبوة والرسالة؛ ويقول له «إقرأ» وبقي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عدة لحظات مستغرقاً في حالته الروحانية المملوكة ثم أجال بطرفه فيما حوله وإذن به يسمع ذلك الصوت السابق مرة ثانية ومرة ثالثة بصوت واضحة جلية يقول له «إقرأ».

وهو يتابع مع جبرئيل و يقرأ «إقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، إقرأ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ»<sup>٢</sup>

وبدأ محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) و كأن حرارة و نشاطا عجيبين قد غمرا وجوده كله و كيف لا يكون كذلك وهو الآن قد ارتبط بعالم أكبر وأعلى وأعظم... مع الملائكة... مع جبرئيل... مع الملكوت الأعلى... وهكذا استندت روحه الشريفة الى ركن وثيق و سند عظيم.

لقد رأى في نفسه (صلى الله عليه وآله وسلم) قوة النبوة. ولم يكن للقلق والاضطراب أي مفهوم في قاموس وجوده و كيانه... بل كان مغموراً بالهدوء والاطمئنان.



١- مستفاد من كامل التواريخ ج ٢ ص ٤٨- تاريخ طبري ج ٣ ص ١١٤٨، ١١٥٠.  
٢- سورة العلق ١-٥ هذا و يعتقد كبار المفسرين أن سورة العلق هي أول سورة نزلت على النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

## هل كان محمد (ص) يمر في غار (حراء) بمرحلة دراسية و تعليمية؟

هذا السؤال قد أجاب عليه بعض المستشرقين والكتاب الغربيين بالإيجاب و قالوا: إنَّ محمدًا (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يطالع هناك الإنجيل و التوراة و تعليمات الأنبياء السابقين و شرائعهم، و يستغرق متأملًا في كل ذلك و أنه كان يجد لذة عميقة في هذا العمل<sup>١</sup>.

و من الواضح أنَّ معنى هذا الكلام هو أنَّ محمدًا (صلى الله عليه وآله وسلم) كان رجلاً قد «كُون نفسه بنفسه» و أنه قد جاء بدين الإسلام و اخترعه من نفسه بعد مطالعته في التوراة و الإنجيل و الشرائع السابقة.

ولكن هناك شواهد و أدلة كثيرة تفند هذا المدعى الباطل و نحن نشير إلى بعضها.

١- لو كان نبي الإسلام محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أخذ القرآن من التوراة و الإنجيل و غيرها، لكان يجب أن تتشابه المطالب و الأفكار التي جاءت في القرآن مع ما في كتب العهدين. هذا في الوقت الذي نجد بين القرآن و بينها تفاوتاً شديداً و اختلافاً أساسياً.

٢- إنَّ آيات القرآن الكريم في بلاغتها و فصاحتها و كيفية

١- كتاب «الاعتذار إلى محمد و القرآن» الترجمة الفارسية ص ١٩.

تركيبها المحيّر المدهش... جعلت كبار الأدبا والبلغاء في عصر نزول القرآن وفي العصور المتأخرة عنه يقفون أمام عظمة القرآن مدهوشين، و معترفين بتفوقه وإعجازه. و هذا الأمر بنفسه ولوحده يثبت أنّ محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) كان مرتبطاً و بصورة مباشرة بمبدأ العالم— بالله تعالى— وليس من شك في أنّ هذه الآيات بكلماتها و تركيبها المعجز لم تكن و ليست موجودة في أي كتاب آخر ليقتبس النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) منه ذلك.

إنّ هذه الدعوى لا أساس لها، ولا تستند إلى أيّ مصدر معتبر وأصيل وإنما هي عبارة عن شائعة و أسطورة اختلقها آباء الكنيسة المسيحية و بعض المستشرقين الخاقدين.

٤— لو كان القرآن— كما يدعون— قد ألف و كتب اعتماداً على مطالعة «العهدين» لسهل كثيراً على أولئك الذين كانوا يحاولون أن يأتوا بقرآن و آيات شبيهة بما في القرآن الكريم، الوصول إلى أهدافهم عن طريق مطالعة التوراة والإنجيل اللذين هما في متناول أيديهم ولا استطاعوا بذلك أن يردّوا تحدى القرآن بأنه لا يمكن أن يؤتى بمثله أو بسورة من مثله.

٥— من المسلم به— تاريخياً— إنّ نبي الإسلام محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) كان أمياً و أنّه لم يمارس القراءة و الكتابة قبل البعثة<sup>١</sup>.

وعلى هذا فهل يمكن لعاقل أن يصدق بأنّ إنساناً لم يتلق

درساً من أحدٍ أبداً، وفي محيط بعيد عن العلم والمعرفة، و غارق في الجهل والأمية... يستطيع أن يأتي بمثل هذا الكتاب المملوء بالمعارف والحقائق؟

إننا نسأل هؤلاء المتحاملين على الاسلام المفترين على نبيّه: كيف كان النبيّ الأميّ يطالع ويستفيد من التوراة والإنجيل؟ وكيف استطاع أن يخبر في القرآن الكريم بكثير من الأمور الغيبية والأخبار الماضية بالإضافة إلى أنباء المستقبل؟

## ما هو الوحي؟

لاشك أن بين الله تعالى و بين الأنبياء ارتباطاً بنوع من الأنواع وأنهم بذلك كانوا يتلقون الحقائق من مبدأ العالم وخالقه وأن سبب هذا الارتباط لم يكن إلا تكامل نفوس هؤلاء الأنبياء و قوة روحياتهم و بلوغهم أسمى وأعلى المراتب الإنسانية.

ومما ينبغي الالتفات إليه هو أنّ الارتباط بالله تعالى لوسلب من الانبياء لما بقي لهم أيّ شئ من الكرامة والمنزلة إذ أن كل ما يملكون من قدسيّة و من مقام رفيع إنما هو ناشئ من قابليتهم وأهليتهم للارتباط بمبدأ العالم «الله تعالى» ولذا فإنّ كل ما كانوا يقولونه و يبلغونه لم يكن فيه أتى إبهام وغموض لأنهم كانوا يعلمون علم اليقين ماهيته و مصدره ومنبعه، وهذا بخلاف ما يسمونه بـ «الكشف» الذي يدعيه البعض إثر قيامه ببعض الأعمال والرياضيات النفسانية والذي إن حصل فإنّ صاحبه ليس على علم

بصدره و موحيه بل انه غالباً يكون هذا الكشف المدعى نتيجة ظنون و حدس و خيال و ما أكثر ما يكون ذلك مخالفاً للواقع .  
 والواقع أنّ امتياز الأنبياء عن هؤلاء المدعين للكشف واضح لا يحتاج إلى بيان فكل ما يراه و يقوله رسل الله تعالى ليس فيه غموض ولا طريق لعلامات الاستفهام اليه و على هذا فقد عرفنا أنّ الوحي هو ارتباط بين الله و أنبيائه و هذا الارتباط قد يحدث بواسطة ملاك الوحي (جبريل) أحياناً و من دون واسطة أحياناً أخرى .

## هل الوحي نوع من المرض؟

يزعم بعض الكتاب الغربيين الذين لانشك في كونهم مغرضين و حاقدين أنّ نزول الوحي على نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن سوى نوع من المرض يسمى ب (الهستيريا) <sup>١</sup> او (الصرع) ولكن هذه التهمة — من حسن الحظ — واهية الأساس إلى درجة لا نرى حاجة معها إلى شرح و بيان إذ أنّ هذا المرض تصاحبه دائماً أعراض و حالات معينة لا نجد لها وجوداً في حالات النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) .

يقول «جان ديون بورت»: «إنّ المزاعم التي يطلقها البعض بأنّ محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت تتنابه حالات «الصرع» هي في الواقع من الأقوال الواهية التي لا تستند إلى أي أساس و دليل وأنها جزء من المحاولات التي قام بها بعض اليونانيين المغرضين

١- الهستيريا ( Hystiria ) نوع من الأمراض الروحية العصبية .



ليحولوا بواسطة هذه التهمة بين الناس وبين التأثر والاعتقاد بدعوة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الجديدة ولكي ينفروا العالم المسيحي من شخصية محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وينظروا اليه من خلال هذه التهمة التي لا تدع مجالاً للاعتماد عليه والإعجاب بشخصيته ومكانته الخلقية والنفسية<sup>١</sup> وأننا إنما نقول ببطلان هذه الفرية لأن أحداً لم يشاهد في الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) حالات الاضطراب والصراخ والعويل الذي يعترى الشخص المبتلى بمرض (الهستيريا) لم يشاهد ذلك حتى في اشدّ حالات الوحي و نزوله، على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

وكذلك فإنّ الشخص المصاب بالهستيريا حينما تزول منه هذه الحالة و يرجع إلى حالته الطبيعيّة لا يتذكر أى شيء مماراه أو سمعه في تلك الحالة وهذه الحالة على عكس ما كان يشاهد من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ أنه كان لا يتكلم أثناء نزول الوحي عليه، وعند ما ينجلي عنه كان يبدأ بالحديث عما أوحى إليه و ماسمعه أوراها. هذا كله بالإضافة إلى أنّ كلام المصاب بـ «الهستيريا» يكون مرتبطاً في الغالب بما تخلقه و تصوره له أعصابه المحطمة من أوهام و خيالات مثل أن يرى صوراً مخوفة وموحشة تؤذيه و تهدده بالقتل فتكون في هذه الحالة كلماته تدور حول هذا الموضوع ولكن لم يجد أى شخص إلى الآن أن مصاباً بالهستيريا يكون كلامه وحديثه مشتملاً على العلوم والقوانين الصحيحة والتعاليم الهادية كقوانين الإسلام التي لم يستطع إنسان إلى الآن و بعد أربعة عشر قرناً من الزمان أن يتحداه و يوجد

فيها نقطة ضعف أو خلاف للطبيعة والفطرة البشرية.

## الوحي والعلم اليوم

إن التقدم والاكتشافات العلمية التي ظهرت في عالم اليوم لم تؤثر في مكانة الإسلام وتقلل من قيمته خلافاً لما يتصوره البعض، وإنما أيدت وقوت من مركزه الوطيد ودعمت أسسه ومبانيه فظهور واكتشاف الرادار واللاسلكي والإشارات التلفزيونية، كل هذه الأمور أثبتت أن موضوع الوحي لا يتعارض ابداً مع نوااميس الطبيعة وأسرار الخلق. ذلك أن الله الذي جعل وسائل المواصلات والارتباطات هذه في خدمة البشر لاشك أنه يستطيع أن يوجد رابطة ووسيلة خاصة بينه وبين سفرائه في خلقه— أي الأنبياء— وإن كان لا تقاس بهذه المخترعات البشرية.

و من ناحية أخرى فإن ظهور بعض العلوم وتوسعها مثل «إحضار الأرواح» و «التنويم المغناطيسي» و «انتقال الأفكار» و «التأثير الروحي» كل هذه العلوم أوضحت بما لا يدع مجالاً للشك بأن حقائق العالم لا تنحصر في إطار المحسوسات.

وأخيراً فإن العلم والتاريخ يشهدان بأن نبي الإسلام (ص) هو المختار والمنتخب من الله تعالى لهداية البشر وإرشاد و إنقاذهم من الضلالة والانحراف وإخراجهم من ظلمات الجهل والفساد وأن كل هذه الأفكار السامية والبرامج الحياتية الراقية إنما وصلته من طريق الوحي.

إنّ العالم الاسلامي يفتخر بقائده العظيم الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لأن رسالته الإسلامية لم تكن مصدر سعادة وحياة لعالمه وعصره فحسب وإنما تعتبر و ١٤ قرناً خير مرشدٍ و هادٍ للعالم المتمدن اليوم وستبقى كذلك الى يوم القيامة.

وأن علماء العالم ومفكريه صاروا يدركون أكثر فأكثر عظمة الاسلام وعمق رؤيته ودقة نظرتة وصلاح قوانينه.



# طريقة النبيّ

(صلى الله عليه وآله وسلّم)

## في تبليغ رسالته

حينما نزل النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من جبل  
 (حراء) متوجهاً إلى بيته، كان يرى نفسه في عالم آخر، إذ أنه قبل أن  
 يذهب إلى الجبل لم يكن نبيّاً، أما الآن فقد ارتبط بمبدأ العالم و  
 خالقه، وتحققت تلكم النبؤات والبشارات التي بشره بها «بجيرا» و  
 غيره من الرهبان والعارفين، وعلم الآن أنّ مسؤولية خطيرة قد  
 جعلت على عاتقه وعليه أن يتحملها ويقوم بها. وهكذا كان يفكر  
 في أطراف هذه المسؤولية وعواقبها ومقتضياتها وإن قيل أنه كان  
 حينذاك قلقاً مضطرباً، فإنما كان لأجل هذه المسؤولية وثقلها،  
 لا لأجل أنه لم يكن يعلم أنه صار نبياً أم لا، أو كان يخشى أنه قد  
 أصيب بسحر أوجنة فالحقيقة أن كل هذه الأوهام لم تجد طريقاً إلى  
 قلب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ابداً، إذ أن البشائر والنبؤات  
 السابقة التي كان قد سمعها من أفراد متعددين، ورؤيته لجبرئيل  
 الذي، بشره وقال له «يا محمد أنت رسول الله»، هذه الأمور كلها  
 كانت كافية ليقطع بأنه نبي هذه الأمة. هذا بالإضافة إلى أن الله

تعالى حينما ينتخب نبياً لهداية الناس فلا بد أن يريه من الآيات والبراهين الساطعة ما يجعله يتيقن ويطمئن الى أنه مرسل من قبل الله تعالى لكي يستطيع هذا النبي المرسل أن يسعى في طريق الإصلاح والهداية بقلب مطمئن وعزم راسخ وإيمان قوى ثابت. وبناء على هذا نفهم كم يكون الادعاء باطلاً من دون تحقيق حين يقال «إن محمداً لم يعلم أنه قد صار نبياً بعد لقائه الأول مع جبرئيل في الغار، وأنه كان قلقاً مضطرباً. وأفضى بمخاوفه إلى خديجة أن يكون قد صار كاهناً أو تكون به جنة، إلى أن طمأنته خديجة وبشّرته بأنه سيكون نبي هذه الأمة»<sup>١</sup>.

### خديجة في انتظار محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)

إن ما حدث يوم البعثة من نزول الوحي على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الغار... أوجب أن يتأخر محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في الرجوع إلى البيت، وقد قلقت خديجة حينما استبطأته، وأرسلت من يلتمسه في الغار إلا أنه لم يجده، وفجاءة رأت محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) يدخل عليها البيت وآثار التغير بادية عليه، فسألته عن سبب تأخره في المجيء فأجابها (صلى الله عليه وآله وسلم) وأخبرها عما جرى له في ذلك اليوم. وكانت خديجة منذمة طويلاً تنتظر مثل هذا اليوم، ذلك أنها سمعت غلامها «ميسرة» ذات مرة وهو يحدثها عن مقابلة الراهب النصراني في حق محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

وسلم) وهما في طريق الشام إذ قال له «إن هذا نبيّ هذه الأمة»<sup>١</sup> كما أنها كانت قد تلقت بشارات من بعض علماء اليهود والنصارى الذين أكدوا أنه سيكون له شأن عظيم.

لهذا كله قامت خديجة وانطلقت إلى ابن عمها «ورقة بن نوفل» الذي كان مسيحياً قد قرأ الكتب وسمع من أهلها، فأخبرته بما أخبرها به رسول الله (ص) ومارآه وسمعه، فقال ورقة: «والذي نفس ورقة بيده لقد جاءه الناموس الأكبر (أي جبرئيل) الذي كان يأتي موسى وأنه لنبيّ هذه الأمة»<sup>٢</sup>.

ورجعت خديجة من عنده و بعد أسئلة قصيرة طرحتها على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واستفسار عن رسالته الجديدة أسلمت على يده (ص) وآمنت به وصدقت بما جاءه من الله، وهذا حازت قصب السبق والفخر فكانت أول من أسلم من النساء<sup>٣</sup>.

## علي (عليه السلام) أول من أسلم من الرجال

أصيبت قريش في إحدى السنين بأزمة قحط شديدة، وكان أبوطالب ذاعبال كثير، ومال قليل، مادعى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يأخذ «عليّاً» إلى بيته ليخفف بذلك عن عمه أبي طالب<sup>٤</sup> . ومنذ ذلك الوقت والنبي (ص) كالأب الحاني المحب يحرص

١- إعلام الوري ص ٤٧.

٢- السيرة لابن هشام ج ١ ص ٢٣٨.

٣- المناقب ج ١ ص ٤٢.

٤- السيرة لابن هشام ج ١ ص ٢٤٦، مجار الانوار ج ١٨ ص ٢٠٨.



علي تربيته وتنشئته بأحسن وجه ولأن عليًا (عليه السلام) كان يعيش في بيت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد كان أكثر من غيره تعرفًا على خصوصيات النبي (ص) الاخلاقية وفضائله وصدقه. ولذا فقد سارع الى الإيمان بنبوته محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عن بصيرة كاملة في أمره وهو في العاشرة من عمره، وبهذا حازها الآخر قصب السبق من الرجال فكان أول رجل آمن بالله ورسوله<sup>١</sup>.

## تشريع الصلاة

كانت الصلاة أول الواجبات التي فرضها الله تعالى على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمين، بعد الأمر بتوحيد الله وعبادته وحده، ومن هنا يتضح مدى أهمية وعظمة الصلاة باعتبارها ركيزة الارتباط بين الإنسان وخالقه، والمعبرة عن شكر الله تعالى على نعمه التي لا تحصى ولهذا أكد قادة الإسلام والرسول الأعظم على الخصوص في وصاياهم على أهمية الصلاة ومنزلتها فقد جاء في الحديث: الصلاة عمود الدين<sup>٢</sup> وورد كذلك عن الأئمة الأطهار (عليهم السلام) «لا ينال شفاعتنا من استخف بالصلاة»<sup>٣</sup>.

وعلى أي حال فقد أوحى الله تعالى إلى نبيه بواسطة جبرئيل كيفية الصلاة وشرائطها وقد علمها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

١- سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٤٥، بحار الأنوار ج ١٨ ص ١٨٨، الغدير ج ٣ ص ٢١٩-

٢٤١، تاريخ الطبري ج ٣ ص ١١٦٠.

٢- وسائل الشيعة ج ٣ ص ١٦-١٧.

٣- نفس المصدر السابق ص ١٦.

خديجة وعلياً، وأقاموا معاً الصلاة جماعة يؤمهما النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)¹.

### ثلاثة سنوات من التبليغ العملي

بدأ نبي الإسلام (ص) دعوته السريّة أول الأمر وذلك لمدة ثلاثة سنين، ذلك أن أرضية الجزيرة العربية بشكل عام ومكة وأطرافها خاصة لم تكن مهياً لتقبل الدعوة العلنيّة للإسلام وهم الذين قضوا السنين الطويلة في عبادة الأصنام والشرك بالله تعالى؛ ولو كان النبي (ص) قد أعلن دعوته بادي الأمر لواجهته مشاكل وعقبات صعبة تحول بينه وبين هدفه الأساسي المقدس، ولهذا كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقف على مرأى من المشركين الذين كانوا يعبدون آلهة متعدّدة... ليقيم الصلاة التي هي عبارة من مجموعة من المعارف المعنويّة والتي تعبر عن الشكر والثناء والدعاء لله الخالق الواحد الأحد.

لقد كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومعه علي (عليه السلام) وخديجة عليها السلام يذهبون الى مناطق تجمع الناس «كالمسجد الحرام» و«منا» و«منا» ويقومون الصلاة جماعة أمام الآخرين، وكان هذا الأمر بمثابة أسلوب عمليّ في الدعوة إلى عبادة الله وحده.²

١- اعلام الورى ص ٣٧، جامع أحاديث الشيعة ج ٢ ص ٣١، والمعلوم أن الصلاة حينئذ كانت ركعتين فقط لكل وقت من الاوقات الخمسة.

٢- اعلام الورى ص ٣٨، تاريخ الطبري ج ٣ ص ١١٦٢.

يروى عن عفيف أنه قال «كنت امرأة تاجراً فقدمت أيام الحج وأتيت العباس بن عبدالمطلب فبينما نحن عنده إذ أقبل شاب فرمى ببصره إلى السماء ثم استقبل الكعبة وبدأ الصلاة فلم يلبث حتى جاء غلام فوقف عن يمينه. ثم جاءت امرأة فقامت خلفهما فصلوا معاً، فقلت يا عباس ما هذا الدين الذي لأدري ما هو؟

فقال العباس: إن هذا الشاب محمد بن عبدالله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويعتقد أن الله الذي خلق السماوات والأرض قد أرسله لهداية الناس، وليس على هذا الدين اليوم غير هؤلاء الثلاثة و إن هذه المرأة هي زوجته خديجة بنت خويلد، وهذا الغلام ابن عمه علي بن أبي طالب<sup>١</sup> واستمر النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) على هذه الحال حتى بدأ عدد المسلمين يتزايد يوماً فيوماً، وتوسعت دعوته على رغم مناهضة المشركين، ولذا فقد صدر الأمر من الله تعالى لنبيه أن يعلن دعوته ويصدع بأمره لأن الأرضية للعمل الإسلامي العلي صارت معدة ومهيأة.

## دعوة الأقربين، وأول معجزة لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم)

لقد توفرت الأرضية لإعلان الرسالة الإسلامية بعد أن استمر عدد المسلمين بالازدياد، وكانت المرحلة الأولى أن يدعو النبي (ص) أقاربه وعشيرته إلى الإسلام، فنزلت عليه هذه الآية

«وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ»<sup>١</sup> وإنما اختص أقاربه بالدعوة أول الأمر لسببين:

أولهما: لكي لا يقال لماذا لا يدعو النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أهله وعشيرته إلى دينه الجديد ويذهب لإنذار البعيدين عنه، فإن كان في دعوته خير وسعادة فلماذا يحرم منها عشيرته وأقاربه؟  
وثانيهما: أنه كان بحاجة إلى حماية أكثر تساعد على المضي في نشر رسالته وتمنع عنه أذى الجاهلين.

لهذا فإن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد نزول هذه الآية امر علياً (عليه السلام) بأن يهني طعاماً ويدعو اليه عشيرته الذين كان يبلغ عددهم حوالي أربعين نفرًا.

فامتثل علي (عليه السلام) امر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهياً ما أراد ولما حضر الجميع جاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بمقدار من ذلك الطعام بحيث لا يكاد يكفي الواحد منهم في الظاهر إلا أنهم تناولوا منه حتى شبعوا بأجمعهم دون أن ينقص من الطعام شيئاً، فتعجب الحاضرون وانددهشوا لذلك، إلا أبولهب الذي فض الاجتماع وقال «إنه عمل ساحر» قال هذه الكلمة غافلاً عن ان السحر لا يمكن أن يشبع الإنسان حقيقة و واقعاً، إذ لا يتعدى السحر ان يكون امرأً وهمياً خيالياً.

وهذا فإن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يستطع ان يتكلم شيئاً في هذه المرة، ولكنه كرر الدعوة لهم في اليوم التالي وأطعمهم بنفس

الصورة السابقة وبعد ذلك قام فيهم خطيباً وقال: يا بني عبدالمطلب، لقد أرسلني الله إليكم نذيراً وبشيراً، والله ما أعلم إنساناً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتمكم به، قد جئتمكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني ربي أن أدعوكم إليه، فأيتكم يؤازرنى على هذا الأمر، وأن يكون أخي و وصيي وخليفتي فيكم؟ فسكتوا جميعاً، إلا علياً فقد نهض وهو ما يزال صبيّاً وقال «أنا يا رسول الله عونك أنا حرب على من حاربت» فأجلسه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واعداد عليهم مقاتله ثلاث مرات وفي كل منها يقوم على (عليه السلام) فقط وحينذاك أشار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى علي (عليه السلام) وقال «هذا أخي و وصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا»<sup>١</sup>

وفي هذا اليوم بالذات أعلن عدد من الناس إسلامهم<sup>٢</sup>.  
ولكن الجهل والتعصب لم يدعوا ان يؤمن بالنبي (ص) كافة اقربائه وعشيرته، وإن لم يكن ذلك المجلس خالياً من الأثر بالنسبة إلى حماية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وإسناده، وفي هذه القصة يتضح أمران: أحدهما: معجزة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ أنه أشبع أربعين نفرأ بطعام قليل.

وثانيهما: أن الكلمات التي قالها النبي (ص) في حق علي

١- تاريخ الطبرى المجلد الثالث ص ١١٧١-١١٧٣ تفسير مجمع البيان المجلد السابع ص ٢٠٦-٢٠٧ بحار الأنوار المجلد الثامن عشر ص ١٩٢ وهذا الموضوع من الحقائق الثابتة التي يقبله المؤرخون الإسلامى وغيرهم راجع القدير المجلد الثاني ٢٧٨.  
٢- تاريخ يعقوبى المجلد الثاني ص ٢٢.

(ع) أوضحت بما لا يدع مجالاً للشك والريب ان عليا (عليه السلام) هو وصي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وخليفته بدون منازع، و أنه هو المعد لمواصلة قيادة الرسالة الإسلامية.

وهكذا تهيأت الظروف لانتقال الدعوة الإسلامية إلى المرحلة العلنية و بدأ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جهاده و واصله بروح لا تعرف التعب والكلل، فلم يتوان ساعة عن أداء رسالته المقدسة، و في هذا الوقت بالذات بدأت رؤية الإسلام بالاهتزاز، و شرعت الحقيقة تتقدم إلى الأمام، يسطع نورها و يتلأأ ليكتسح الظلام.

# الدّعوة العامّة لمحمّد

(صلى الله عليه وآله وسلّم)

مرّت ثلاث سنين على بعثة النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلّم) كان خلالها يدعو الناس إلى الإسلام بصورة سرّية، ولا يدخر وسعافي سبيل إنقاذ الناس الذين جرفتهم مفاصد الجاهلية، وتمرغوا في أحوال الشرك والضلال، و كان الحب والحنان، والرأفة، والمنطق الجذاب هو الطريق، و هو السلاح الذي بواسطته يدخل إلى قلوب الناس، ويجذبهم إلى التوحيد و عبادة الله وحده...<sup>١</sup>.

ولكن هذه المرحلة السريّة لم تدم، ذلك إنّ الإسلام رسالة عالميّة ولا بد أن تصل إلى مسامع جميع الناس «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ» ولهذا كان لا بد أن يظهر الدعوة و يعلن الأهداف التي جاءت لأجلها رسالته السماويّة.

### نداء محمّد (ص) على الصّفا

بعد أن أمر الله نبيّه (صلى الله عليه وآله وسلّم) أن يصدع بدعوته و يعلنها إلى الناس و ينشرها بين القبائل جمعاء، امثّل

١- السيرة لابن هشام ج ١ ص ٢٦٢، تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٩.



النبي (ص) هذا الأمر، وأراد أن يبين حقيقة دعوته على الملأ، فتوجه إلى جبل «الصفاء» ليخاطب الناس من ذلك المرتفع، ووقف (ص) هناك ونادى برفيع صوته «يا صباحاه» فاجتمعت إليه قريش فقالوا مالك؟ قال رأيتم إن أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أما كنتم تصدقونني؟ قالوا بلي، قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد<sup>١</sup>.

فنهض أبولهب وقطع عليه كلامه لثلاث تواتر كلماته في قلوب الحاضرين وصاح في وجه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قائلاً: تبا لك، ألهذا دعوتنا؟ وبهذا الكلمات البذيئة استطاع أن يفرق الجموع ويفسد على النبي (ص) دعوته، ولقد جازاه الله تعالى على هذا الإنكار والعداء لله ورسوله أن أنزل سورة من القرآن في ذمّه، وهي «تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ» إلى آخر السورة<sup>٢</sup>.

## ردود الفعل لنداء النبي (ص)

لقد كان لنداء النبي (ص) وكلماته الحكيمة البليغة كبير الأثر في كثير من الذين استمعوا إليه. وبدأ الحديث وانتشر في مجالس قريش ومحافلهم عن الدين الجديد الذي جاء به محمد (ص) ولقد وجد البعض ممن أرهقتهم المظالم والهبت ظهورهم سياط الظلم والعدوان... وجدوا في هذه الدعوة العادلة الرحيمة نافذة أمل

١- تاريخ الطبري ج ٣ ص ١١٧٠.

٢- تاريخ الطبري ج ٣ ص ١١٧٠ المناقب ج ١ ص ٤٣-٤٤.

ورجاء في إصلاح أحوالهم، ونجاتهم، ممّا كانوا يقاسون من الذل والحرمان.

ولكن أشراف قريش و زعمائها لم يستجيبوا للدعوة الجديدة، بل صمّموا على الوقوف في وجهها و وضع العراقل أمامها ذلك أنّهم وجدوا النبي (ص) يسخر من آلهتهم التي كانوا يعبدونها هم وآباؤهم، ولم يكن يترك فرصة إلاّ وندد بسخف عقائدهم، وبيّن زيفها وبطلانها، والحقيقة هي أنّهم بدأوا يشعرون بما في دين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) و دعوته من خطر يهدّد كيانهم ومكانتهم إذ أن الناس لو تركوا الأصنام وعبادتها وتوجهوا إلى الله تعالى وحده بالتعظيم فأين تذهب منافع هؤلاء السادة الحاكمين؟ و من يمثل أوامرهم ويخضع لمقامهم الديني الشريف؟

ولم يروا بُدّاً أن يجلسوا في دار ندوتهم و يبحثوا فيما يجب اتخاذه لمنع هذه السيرة المباركة من التقدم، وقد استقر رأيهم على أن يذهبوا إلى أبي طالب كبير قريش والذي كان بمثابة الوالد للنبي (ص) ليطلبوا منه أن يمنع محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) من الاستمرار في دعوته فذهب إليه رجال من أشراف قريش و في مقدمتهم أبوسفیان، فتحدّثوا عن محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ودينه وانه سب آلهتهم وعاب دينهم، ولكن أباطالبدّم ردّاً جميلاً.

## قريش تقدّم الشكوى لأبي طالب

وجد أشراف قريش أنّ محاولتهم الأولى لم تثمر، فقد مضى

محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في نشر رسالته، وازداد أعوانه يوماً بعد يوم، فمشوا إلى أبي طالب مرة أخرى فقالوا له: «يا أبا طالب إن لك ستاً وشرفاً و منزلةً فينا وقد استهينناك من ابن اخيك فلم تنه عنا، وإنا والله لانصبر على شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب أهتنا حتى تكفه عنا أوننازله وإياك في ذلك — أى القتال — حتى يهلك أحد الفريقين ثم انصرفوا عنه». فدعا أبو طالب محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) وأخبره بمقالة القوم، و طلب رأيه في ذلك . فأجاب رسول الله (ص) قائلاً: يا عمّ والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ماتركته ثم خرج متأثراً وقد خنقته العبرة.

فناداه أبو طالب وقال له: «أقبل يا بن أخي فلما أقبل، قال له: اذهب يا بن أخي فقل ما أحببت، فوالله لأسلمك لشيء أبداً»<sup>١</sup>. ثم إن قر يشا سلكوا طريقاً آخر لمنع ابي طالب من مناصرة محمد (ص) وحمايته فمشوا اليه واخذوا معهم عمارة بن الوليد بن المغيرة وقالوا له: يا ابا طالب، هذا عمارة بن الوليد أنهد (اقوى) فتى في قر يش و أجمله، فخذة فلك عقله و نصره واتخذة ولدأ فهو لك وأسلم إلينا ابن اخيك هذا، فنقتله، فإنما هو رجل برجل، فاجابهم ابو طالب قائلاً: والله لبئس ما تسوموني، أتُعطوني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيتكم ابني تقتلونوه؟ هذا والله ما لا يكون أبداً<sup>٢</sup>.

١- السيرة لابن هشام ج ١ ص ٢٦٥-٢٦٦.

٢- السيرة لابن هشام ج ١ ص ٢٦٦-٢٦٧.

## قريش تحاول إغراء النبي «ص»

لقد ظنّ زعماء قريش انهم قديستطيعون ايقاف النبي (ص) عن المضيّ في دعوته وذلك باغرائه بالمال أو الشرف أو الملك والمنصب، ولهذا فقد جاءوا إليه ذات مرّة وقالوا له: يا محمد، ان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، و إن كنت إنما تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذي يأتيك رتيباً تراه قدغلب عليك—وكانوا يسمون التابع من الجن رتيباً— فرما كان ذلك بذلنا لك أموالنا في طلب الطيب حتى نبرئك منه أو نعذر فيك .

فقال لهم رسول الله (ص): ما بي ماتقولون: ما جئت بما جئتمكم به أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً وأنزل عليّ كتاباً، وأمرني أن أكون لكم بشيراً و نذيراً فبلغتكم رسالات ربي، و نصحت لكم فإن تقبلوا مني فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه عليّ أصبر لأمر الله، حتى يحكم الله بيني وبينكم<sup>١</sup>.

ولما رأت قريش ان جميع اساليها لم تنفع في كف محمد (ص) عن تبليغ رسالته، قنعوا واكتفوا منه ان يكف عن شتم أهتهم و يتركوه وشانه، لذا جاءوا الى ابي طالب و طلبوا منه ان يبلغ محمداً (صلى الله عليه وآله و سلم) مقالتهم فأرسل ابوطالب إلى

النبي (ص) فلما دخل عليه اخبره باقتراحهم.

فقال النبي (ص) يا عم: أولاً ادعوهم الى ما هو خير لهم ادعوهم الى ان يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب ويملكون بها العجم؟

فقال ابوجهل: ماهي؟ وابيك لنعطينكها و عشرا امثالها؟ قال النبي (ص): ان تقولوا: «لا اله الا الله» فنفروا وقالوا: سلنا غير هذه، فقال رسول الله (ص) لوجئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها<sup>١</sup>

ولما وجد زعماء قريش أنّ أحاديثهم مع النبي (ص) لا يمكن أن تؤدي إلى نتيجة لصالحهم تجعله ينفذ يديه من رسالته، فلا التهديد ولا الوعيد يستطيع أن ينال من عزم النبي (ص) وثباته، فقد صمّموا أن يتخذوا قبالة موقفاً أشد.



مشاكل الطريق

و

تعذيب قریش

## تعذيب قريش

منذ اليوم الذي بدأ فيه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) دعوته العلنية للإسلام، وزعماء قريش يتبعون الأسلوب تلو الأسلوب لإسكات هذا الصوت المقدس ومنعه من الاستمرار في الدعوة إلى رسالته الكريمة المقدسة فلقد لجأوا أولاً— كما هو متعارف في مثل هذه الحالات— إلى الإغراء بالأمور المادية وإطلاق الوعود من أموال ورياسة ونساء وغير ذلك ولما يسوا من ذلك استعملوا أسلوب التهديد والوعيد، وأخيراً سلكوا طريق الأذى والتعذيب ليصدوا الناس عن اتباع الدين الجديد.

وهكذا بدأت مرحلة جديدة في حياة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مرحلة اتصفت بالحدق والوحشية من قبل قريش ليمنعوا رسالة الإسلام من التوسع والانتشار خوفاً على مصالحهم الرخيصة وحفاظاً على مكانتهم المهزوزة وتسلطهم الجائر على أعناق الضعفاء ولهذا لم يراعوا القواعد الإنسانية والأصول الأخلاقية في الوصول إلى أهدافهم في الحيلولة بين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وتبليغ رسالته إلى



الناس .

وهنا لا يمكن أن ننسى أن المستوى العقلي والفكري لذلك العصر كان دخيلاً في عدم تقبل البعض من الناس لرسالة الإسلام إلا أن مخالفة قريش وعداءها إنما اشتد وقوى حين أحسوا أن في هذه الرسالة خطراً جدياً عليهم، ذلك أنهم وجدوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يسخر من أصنامهم ويقول: ما عسى أن تفعله هذه الأصنام الحرساء المصنوعة من الخشب والحجر أو تجلبه من البركة؟.

وكانوا يعتبرون ذلك ضربةً قاسيةً توجه اليهم لأنهم كانوا يعتبرون عبادة الأصنام جزءاً مما ورثوه من آبائهم وأجدادهم وأجدادهم التي يفاخرون بها.

ولكن الأهم من ذلك كله أنهم وجدوا أن تعليمات الدين لا تتلائم مع مصالحهم الطبقيّة ومنافعهم الضيقة فقد كان زعماء قريش لا يريدون بحال من الاحوال— أن يتنازلوا عن تسلطهم واستثمارهم للطبقة الفقيرة الكادحة والمحرومة، وامتلاكهم للرفيق—العبيد—الذين كانوا يعاملونهم بمنتهى القسوة والوحشية وكذلك كان أصحاب الأموال من المرابين يريدون إبقاء النظام الربوي ليمتصوا ما يخلوهم من دماء الناس الضعفاء وكذلك كان جبابرتهم وطغاتهم والمتكبرون منهم يسمعون إلى إبقاء سيطرتهم على الناس ونهب أموالهم والاعتداء على حرماهم وإرهاهم بقوة السيف والسنان.

وهكذا نجد أن من الطبيعي لهذه الرسالة الجديدة التي أعلنت منذ ساعتها الأولى مخالفتها واستنكارها لكل هذه التجاوزات على الحقوق الإنسانية والظلم الصريح الذي يتركز عليه النظام

الاجتماعي الفاسد كله، من الطبيعي ان تواجه مخالفة شديدة وعداء مستحكما من الطبقة المتنفذة والمنفعة من استمرار النظام القديم.

وتطالعا بين أفراد هذه الطبقة المخالفة للدين الجديد أسماء شخصيات قرشية معروفة مثل: أبي جهل، أبي سفيان، أبي لهب، الأسود بن عبد يغوث، العاص بن وائل وعتبة وشيبة ابني ربيعة، الوليد بن المغيرة، عقبة بن أبي معيط.

ولقد استعمل هؤلاء وأتباعهم كل الأساليب اللا إنسانية، من تهم رخيصة وسبّ مقذع وحصار اقتصادي و مالي، وتعذيب نفسي ضدّ محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأتباعه المسلمين، وهنا نشير إلى بعض الأمثلة من ذلك:

١- بينا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ساجد وحوله ناس من قريش و ثم سلى بعير فقالوا من يأخذ سلى هذا الجزور اوالبعير فيقذفه على ظهره؟ فجاء عقبة بن ابى معيط فلقذفه على ظهره النبي (ص) وجاءت فاطمة (عليها السلام) فاخذته من ظهره ودعت على من صنع ذلك...<sup>١</sup>

٢- عن طارق المحاربي قال: رأيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في سوق ذى المجاز بمكة، و هو يقول للناس: يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا و يدعوا الناس إلى الإسلام و توحيد الله فيما كان أبولهب يتبعه ويرميه بالحجارة وقد أدمى رجله، و هو يقول: «أيها الناس: لا تطيعوه فانه كذاب»<sup>٢</sup>.

١- إعلام الورى للطبرسي ص ٤٧.

٢- المناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٥٦.

وبالإضافة إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد تعرض أصحابه وأتباعه الذين أسلموا على يديه وآمنوا به... إلى أبشع تعذيب وحشي لا إنساني.

٣- روى عن جابر بن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مرّ بعمّار وأهله يعذبون في الله، فقال: «ابشروا آل عمّار فإنّ موعدكم الجنة» يقول ابن الأثير: كان المشركون يعذبون عمّاراً وأباه وأمه أشدّ العذاب وذلك بأن يخرجوهم إلى الأبطح إذا حمت الرمضاء - الأرض - يعذبونهم بحرّ الشمس الملتبّه.

و لقد قتلت (سُمَيّة). أمّ عمّار وهي أول شهيدة في الإسلام، بحربة ضربها بها أبوجهل وقتلها كما قتل ياسر (والد عمّار) هو الآخر تحت تعذيب المشركين.

وشدّدوا العذاب على عمّار نفسه بالحرّارة وبوضع الصخرة على صدره أخرى وهم يريدون منه أن يسبّ محمّداً (صلى الله عليه وآله وسلم) ويظهر الكفر وهو يمتنع عن ذلك حتى أجابهم إلى ذلك تقيّة منهم وإن كان قلبه مطمئناً بالإيمان كما تقول الآية وبذلك نجا من الموت الذي كان ينتظره على أيديهم<sup>٢</sup>.

٤- ومن جملة من عذب (بلال) الحبشي و كان عبداً قد أسلم على يد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) و كان مولاه إذا حمت الشمس وقت الظهرية يلقيه في الرمضاء على صدره و يقول له: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمّد وتعبد اللات و العزى،

١- اعلام الورى ص ٤٨.

٢- الكامل لابن الاثير ط بيروت ج ٢ ص ٦٧.

وكان بلال صامداً صابراً في تحمل كل ذلك العذاب والتهديد ولا يجيب إلا بكلمة واحدة يكررها و يقول: أحد أحد.<sup>١</sup>

واننا لنأسف من أنه لايسعنا في هذه المقالة الموجزة أن نستوعب جميع القصص المحزنة والصور الفريدة التي تعرض لها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمون في صدر الإسلام وأيامه الأولى، ولكننا يمكن أن نقول: إنَّ المشركين وأعداء الإسلام لم يدعوا وسيلة إلا واستعملوها، لناهضة الإسلام وحربه والوقوف في وجهه ويمكن الاشارة بصورة إجمالية إلى هذه الوسائل والأساليب:

#### ١- الضغوط الاقتصادية: لقد شنَّ المشركون حرباً

اقتصادية شديدة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعشيرته وأتباعه المسلمين، فحرموا جميع أنواع المعاملات التجارية معهم، وكان ذلك سبباً لأزمة شديدة وحصارٍ أليمٍ للنبي ومن معه.

#### ٢- الحرب النفسية: وكانت تتمثل في قطع الروابط

الاجتماعية بالمسلمين وعدم الزواج معهم، بالإضافة الى اتهام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالسحر تارة والكذب أخرى، لاضعاف الروح المعنوية لدى المسلمين.

#### ٣- التعذيب الجسدي: الذي كان هو الآخر من

الأساليب الوحشية اللا إنسانية التي استعملتها «قريش» للقضاء على النهضة الجديدة بقائدها وأتباعها، وقد أدَّى هذا الإيذاء

والتعذيب الى استشهاد عدد من المؤمنين في صدر الإسلام. ولكن بالرغم من كل هذه الأساليب المقيتة التي اتبعها المشركون في حرهم و مناهضتهم للإسلام والنبي والمسلمين... فإن الإسلام استمر في تقدمه وانتشاره، كما استمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في دعوته الناس إلى طريق الحق المستقيم و كذلك استمر المسلمون في جهادهم وثباتهم على دينهم القويم.

ولقد سلكوا هذا الطريق المجيد المليء بالفخر وتحملوا المشاكل الكثيرة والإيذاء والآلام والشقاء والصعاب والهجرة والتشريد... كل ذلك حرصاً على دينهم وفي سبيل عقيدتهم وإيمانهم.

و من الأمور المهمة التي نستفيد منها من حياة و تاريخ المسلمين في صدر الإسلام أننا خلافاً لمزاعم وادعاء أعداء الإسلام لانجد تقدم الإسلام و انتشاره معتمداً على السيف والحرب بل انه خلال مدة ثلاث عشرة سنة عانى المسلمون فيه أشد أنواع القسوة والتعذيب من أعدائهم، كان الاسلام يقاوم ذلك كله و يتقدم وينتشر.



# هجرة النبي محمد

(صلى الله عليه وآله وسلم)

بداية تاريخ وتحول

## الهجرة من أجل الهدف

كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقرأ في قسّمات وجوه أهل مكّة ما تكته قلوبهم له من تكذيب... و ما سيزرعون في طريق الإسلام من عوائق وعقبات.

و كان يعلم أن هؤلاء القوم الغارقين في الجهالات والخرافات، لا يمكن لهم أن يتركوا ما هم عليه بسهولة و يسر، ولكي يتم إخراجهم من الظلمات إلى النور، لابد من صراع عنيف تبذل فيه جهود جبّارة تصل الى حد التضحية والفداء.

وعلى أساس من هذه النظرة البعيدة... التي تعي ما يحمله الغد من صعوبات... و بمثل هذه البصيرة النافذة إلى كل زوايا المستقبل البعيد... نهض النبي الأعظم (ص) بأعباء الرسالة.

وأقام (ص) بمكة بعد بعثته ثلاثة عشر عاماً يتحمل فيها ألوان المشقات ويحاول التغلب على المصائب التي تواجهه، ولكن



أعداء الإسلام لم يكفوا عن إيذائه بل و محاولات القضاء على رسالته بشتى الطرق والأساليب... و كان هذا الوضع يستدعي نقل مركز القيادة من مكة إلى مكان آخر يتوفر فيه الجو المناسب الذى يحفظ للرسالة استمرار نموها وانتشارها.

## يثر ب... الأرضية الصالحة

في أحد مواسم الحج التقى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في المسجد الحرام بعدد من كبار «الخزرج» فدعاهم إلى اعتناق الإسلام الذى هو دين السلام العادل والأخوة المثلث... و وجد هذا النفر من الخزرجيين في الإسلام ضالّتهم المنشودة... فقد كانوا يعانون الكثير من صراعهم المزمع مع «الأوس».

و كان هذا الصراع قد بعث في هذه الفترة بالذات من جديد فاستجابوا لدعوة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بكل إخلاص... و طلبوا منه أن يرسل معهم من يعلمهم أمور دينهم، فأوفد معهم مصعب بن عمير (رض).

وهكذا بدأت الدعوة إلى الإسلام تنتشر في يثر ب... وأخذ أهلها يدخلون في دين الله أفواجا. و كان من العوامل الرئيسة والفعالة في اعتناق هؤلاء لهذا الدين الجديد آيات الله البينات التي تقلى عليهم. و كتب مصعب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يخبره بإسلام عليه القوم من الأوس والخزرج.

بعد هذا التقى النبي الأعظم (ص) بمجموعة كبيرة من أهل

يثرب قدموا لأداء فريضة الحج... التق بهم سرّاً فبايعوه على أن يحموه ويدافعوا عنه إذا قدم إليهم كما يدافعون عن نساءهم وأولادهم<sup>١</sup>.

هذه البيعة المصيرية في تاريخ الرسالة الإسلامية كانت دليلاً على أن غرسة الإسلام بدأت تؤتي أكلها...

## المؤامرة

كان الظلام ما يزال مخمياً عند ما طرق سمع القريش النبأ الصاعقة... نبأبيعة اليثريين للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومعاهدتهم له...

ولأجل تطويق هذا الحادث والقضاء على الانتصار الذي أحرزه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تهافت شيوخ الشرك الى دار الندوة.

و بعد أخذ وردّ وإبرام و نقض قرروا أن تنتدب كل قبيلة رجلاً... لينقض هؤلاء المنتدبون على بيت النبي ليلاً و يقتلوه... و بالقضاء عليه يتم القضاء على دعوته و ينتهى كل شىء<sup>٢</sup>.

هذا ما أراده الكفار، ولكن الله سبحانه أراد شيئاً آخر... فأطلع نبيه على ما يبئس له القوم وأمره أن يغادر مكة ليلاً<sup>٣</sup>.

١- اعلام الورى ط النجف الأشرف ١٣٩٠ ص ٥٥ - ٦١.

٢- تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٢٢٩، اعلام الورى ص ٦١ - ٦٢.

٣- تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٢٣١، بحار الأنوار ج ١٩ ص ٦٠.

## الاحلاص والفداء

وأودع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ما كان عنده من أمانات الناس عند عليّ عليه السلام ليردّها إلى أصحابها وقال له إنه مغادر مكة وأمره أن ينام على فراشه لكي لا يتنبه الأعداء لمغادرة النبي المنزل... وامتثل الإمام سلام الله عليه أمر رسول الله ونام على فراشه راضياً أن تهدّد سلامته كل الأخطار التي كانت تهدّد حياة الإسلام ممثلاً بالنبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم).

لقد كان موقف الإمام عليّ عليه السلام هذا خالصاً لوجه الله و غاية في الأهمية بحيث أن الله سبحانه ذكره في القرآن الكريم وأثنى عليه<sup>١</sup>.

## إلى غار ثور

ولم يطبق الظلام إلّا وبيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) محاصر... وأعداء الله المنتدبون كل من قبيلة يظنون أنهم أحكموا الخطة... ههنا بيت الرسول يحيط به نفر سوء... و داخل البيت عليّ (عليه السلام) يبيت حيث اقتضت المصلحة وجاءه الأمر... و خارج البيت ثعابين يا للشيطان إلى أيّ حدّ استطاع إغواءها!! حتى أنها أصبحت بعد رسم الخطة تنتظر بفارغ الصبر نبأ مقتل سيد

المرسلين (صلى الله عليه وآله وسلم).  
 وإلى جانب هذه المشاهد الثلاثة كان ثمة مشهد رابع...  
 ها هو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) متجهاً إلى غار  
 ثور... عبر طريق خاص بعد أن غادر البيت وهو يقرأ آيات من سورة  
 يس... واصطحب معه في رحلته أبابكر.



وجرد أولئك النفر المشؤمون الذين كانوا يحاصرون البيت  
 سيوفهم... وهجموا باتجاه فراش النبي ولكم كان هول الصدمة  
 قاسياً حين رأوا علياً على فراشه (ص).  
 وأسقط في أيديهم... وباضطراب سألوا: «أين ابن عمك  
 محمد؟! قال علي (ع): اجعلتموني عليه رقيباً؟ أستم قلم له:  
 اخرج عنا فقد خرج عنكم فما تريدون؟...»<sup>٢</sup>  
 وحين رأت قرينش أن كل جهودها قد ذهبت سدى شعرت  
 بأنها طعنت كبريائها في الصميم فحاولت جاهدة العثور على  
 رسول الله... ولكن لم يخالفها النجاح.

## إلى يثرب

بقي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في غار ثور ثلاثة أيام. ثم  
 اتجه إلى يثرب... وكانت هذه الفترة كافية لزراعة اليأس في قلوب

١- تاريخ الطبري ٢ ص ١٢٣٤.

٢- اعلام الورى ص ٦٣.

الكفار ليكفوا عن ملاحقته. والتاريخ يذكر لنا أن رجلاً مكياً يدعى «سراقة بن مالك» كان قد تتبع أثر الرسول ولكنه مرّ بصعوبات وعثرت به الفرس واسقطته أرضاً مما دعاه لأن يتوب ويرجع<sup>١</sup>.

وفي الثاني عشر من ربيع الأول وصل صلى الله عليه وآله وسلم إلى منطقة يقال لها (قبا)<sup>٢</sup> وأقام فيها عدة أيام<sup>٣</sup> ينتظر قدوم الإمام عليّ عليه السلام... ولقد أصرّ أبو بكر على النبي أن ينتقل إلى يثرب لكنه عليه الصلاة والسلام علل بقاءه بقوله: ولست أريم حتى يقدم ابن عمي وأخي في الله عزوجل، وأحبّ أهل بيتي اليّ، فقد وقاني بنفسه من المشركين.

والتحق الإمام عليّ بالسبّي بعد أن أدّى الأمانات إلى أصحابها، ولقد حاول الكفار أن ينالوا من الإمام ولكنه تصدى لهم فردّهم الله بغيظهم ووصل عليه السلام إلى قبا متعباً قد هدّه الأعياء واعتنقه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وبكى رحمة لما بقدميه من الورم وتقل في يديه وأمرهما على قدميه، فلم يشتكها بعد حتى قتل<sup>٤</sup>...

١- سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٨٩، بحار الانوار ج ١٩ ص ٨٨.

٢- كامل التواريخ الجزء الثاني ط بيروت ١٣٨٥ ص ١٠٦ و قبا مكان يبعد عن المدينة المنورة عدة كيلومترات فقط.

٣- تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٢٤٥.

٤- كامل التواريخ ج ٢ ص ١٠٦.

## يثرب تنتظر

كان الناس في يثرب في انتظار القائد الأعظم وقد دبت في المدينة روح جديدة و أصبح وضعها غير طبيعي... فكأنها اليوم يوم عيد... العيون مسمرة في اتجاه قبا... والأعناق مشرّبة نحوها...  
و يوم الجمعة... هذا اليوم المبارك... دخل النبي الأكرم  
مدينته المنورة... فاكتظت الطلائع المسلمة عليه وتحلقت حوله...  
ويا لنعمهاها سعادة... سعادة هؤلاء الذين نعموا بلقاء سيد  
المرسلين<sup>١</sup>...

هكذا كانت بداية قصة المدينة مع النبي محمد صلى الله  
عليه وآله وسلّم...  
وفي المدينة ركز (صلى الله عليه وآله وسلّم) أسس الإسلام  
وأرسى قواعده.



وبعد دخول النبي يثرب تغير اسمها فأصبح (المدينة  
المنورة)<sup>٢</sup>.

ثم إن هذه السنة التي غادر (صلى الله عليه وآله وسلّم) فيها مكة  
إلى المدينة أصبحت بداية للتاريخ الهجري... وذلك لما تحمله الهجرة  
من معان جليلة... وسيظل بقاء الاسلام مديناً للمدينة...

١- سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٩٤، بحار الأنوار ج ١٩ ص ١٢٣.

٢- معجم البلدان مادة يثرب، مجمع البحرين مادة يثرب.

وستظل جهود رسول الله والقلوب التي لامس الإيمان  
شغافها... فوق كل الجهود... ومن قبل كل هذا ومن ورائه توفيق  
الله وتسيده...  
وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنِيرَ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ

## درس من الهجرة

والآن... وبعد أن مضى على هذه الواقعة العظيمة أربعة  
عشر قرناً... دعنا نتصفح التاريخ لتأمل الفعاليات والمشاكل التي  
بذلت وواجهت المسلمين في سبيل الهجرة من مجتمع لا يمكنهم أن  
يعبروا فيه عن آرائهم بصراحة... ولا أن يمارسوا معتقداتهم بحرية...  
الدرس الذي يجب أن نستفيده أن هؤلاء المسلمين الذين  
نحوا من شرق ريش... وجؤ مكة المليء بالمتاعب والمصاعب وانتقلوا  
إلى جؤ هاديء... لم يركنوا إلى الدعة والاستقرار... ولم يلجأوا إلى  
مآمرتهم من نكبات في أمسهم محاولين أن يجعلوه رصيماً يكفيهم عناء  
حمل الرسالة... بل استمروا في الدعوة إلى الله وإلى دينه ليكونوا  
المجتمع الذي أراد الله أن يكون.

ولقد كانت جهودهم المتلاحقة... ومواقفهم الفدائية...  
هي السر الذي يكمن وراء التغير السريع العجيب الذي طرأ على  
حياتهم وأناهم درجة رفيعة لا ينالها إلا كل ذي حظ عظيم...  
ولا غرور أن استطاع المسلمون في الصدر الأول أن يحققوا هذه  
الانتصارات. لا غرور في ذلك مادام قائدهم هو النبي الأعظم (ص)

إن من الضروري ان نغذي أبناءنا ونربيهم على أن عزة المسلمين الأوائل إنما كانت في ظلّ الإيمان والعمل.  
 وإذا نريد العزة فليس لها إلا هذا الطريق، أما ماعداه فإنه يجلب عزاً ظاهراً لا يلبث أن يتبدد و يزول.

## المجتمع الفاضل:

يولد المجتمع الفاضل و يتكامل في ظل الانسجام والتلاؤم والثقة المتبادلة بين الأفراد.

و مجتمع كهذا تحيم عليه السعادة و يغمره الهدوء والسروور...  
 ولقد مهد الإسلام لبناء المجتمع الفاضل الذي يريد، و من أجل ذلك تخطى كل الفوارق العرقية والعنصرية وحواجز اختلاف اللغات، وقرّر أن جميع الناس سواسية كأسنان المشط. و جعل المقياس الوحيد هو التقوى.

«إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ»<sup>١</sup>

و «الأخوة الإسلامية» هي خير تعبير عن تكاتف المسلمين

وتضامنهم...

قال تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ»<sup>٢</sup>.

١- الحجرات آية ١٣.

٢- الحجرات آية ١٠.



أطروحة الأخوة الإسلاميّة  
في المدينة المنورة

## المجتمع الفاضل:

يولد المجتمع الفاضل ويتكامل في ظل الانسجام والتلاؤم والثقة المتبادلة بين الأفراد.

ومجتمع كهذا تخيم عليه السعادة ويغمره الهناء والسرور... ولقد مهد الإسلام لبناء المجتمع الفاضل الذي يريد، ومن أجل ذلك تخطى كل الفوارق العرقية والعنصرية وحواجز اختلاف اللغات، وقرر أن جميع الناس سواسية كأسنان المشط. وجعل المقياس الوحيد هو التقوى.

«إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ»<sup>١</sup>

و «الأخوة الإسلامية» هي خير تعبير عن تكاتف المسلمين

وتضامنهم...

قال تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ»<sup>٢</sup>.

---

١- الحجرات آية ١٣.

٢- الحجرات آية ١٠.

## ابتكار في ميدان الأخوة الإسلامية:

بعد أن دخل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) المدينة وبنى المسجد الذي هو في الواقع مركز الدعوة ومنطلقها على جميع الأصعدة، وجه عنايته الشريفة إلى البنية الاجتماعية للمسلمين فأرسي دعائم الأخوة بينهم.

و قد كان عامل الأخوة هذا ينسي المهاجرين مرارة الهجران ويقدم لهم الدليل الحق على أنهم وإن كانوا قد خسروا اهلهم و وطنهم إلا أنهم ربحوا إخواناً أوفياء أوداء.

ولأجل هذا فلم يكتف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالأخوة العامة التي تربط بين كل مسلم ومسلم... بل آخى بين كل اثنين منهم بعقد خاص... و كان ان اختار لنفسه علياً (ع) أخاً وقال: هذا أخي<sup>١</sup>.

وقد امتدح القرآن الكريم الأخوة الإسلامية ودل على عظمة شأنها...

قال تعالى... «وَأذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا»<sup>١</sup>.

و ليست الأخوة الإسلامية من وحي الخيال وإنما هي حقيقة واقعة ممزوجة بروح الإيمان، وتوضح آثارها و يتجلى الواحد تلو الآخر... وهذا هو الإمام الصادق عليه السلام يوضح جانباً من هذه

١- سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٥٠٤-٥٠٥.

١- سورة آل عمران آية ١٠٣.

الآثار: «المؤمن اخو المؤمن لأبيه و أمه لأن الله عزوجل خلق المؤمنين من طينة الجنان وأجرى في صورهم من ريح الجنة فلذلك هم إخوة لأب وأم».

و ان من جملة ماتقتضيه الأخوة الإسلامية الصادقة هو أن تحب لأخيك ماتحب لنفسك وأن تمد له يد العون عن أي طريق أمكنك ذلك...

وليست من الاخوة الإسلامية بل إنه لبعيد عنها بعد ما بين الخافقين أن تبيت شعباناً مرتويماً... يجللك اللباس الفاخر في حين أن إخوة لك في الدين يعانون الجوع والعطش ولا يجدون لأسماهم البالية عوضاً.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: من حق المؤمن على أخيه المؤمن أن يشبع جوعته ويواري عورته ويفرج عنه كربته ويقضى دينه فإذا مات خلفه في أهله وولده<sup>٢</sup>.

والأخوة الإسلامية من وجهة نظر الإسلام أقوى وأوثق من جميع العلائق... حتى النسبية منها...

قال الله تعالى «لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ»<sup>٣</sup>.

ولقد كان لهذا المبدأ العظيم الذي عنى به النبي صلى الله

١- أصول الكافي ج ٢ ص ١٦٦-١٦٧.

٢- الكافي ج ٢ ص ١٦٩.

٣- المجادلة آية ٢٢.

عليه وآله أبعاده الكبيرة وآثاره الإنسانية الهامة... فنتيجة له أصبح سلمان الفارسي وبلال الحبشي أخوين على قدم المساواة... ومن أقرب أصحاب الرسول القائد «ص» إليه...

ثم إن هنالك عداوات متأصلة وعميقة الجذور... وتجمعات متفرقة متحللة... كان هذا المبدأ سبباً في إصلاحها وإحكام بنائها... وغرس روح التحاب والتآلف والتعاقد والتكاتف فيها حتى أصبحت البيئة التي حظيت بنعمة هذه الاخوة كأسرة واحدة كل واحد من أفرادها يشاطر الآخر أفراحه واطرأحه...

وقد قلنا فيما سبق أن أخوة الإسلام ليست مسألة روتينية و سنتناول ذلك الآن بشيء من التفصيل:

يقرّر الإسلام أن الأخوة فيه مسؤولية عامة... بمعنى أن على كل إنسان أن يفتح على مشاكل الآخرين ويسهم في حلها بمقدار ما يستطيع، ولا يصح للفرد المسلم أن ينغلق على نفسه ويعيش لهماومه وشؤونه الخاصة دون أن يشعر بالآخرين وملابسات حياتهم... و من أهم مجالات هذه المسؤولية العامة مايلي:

١- التعاون الاقتصادي: وهو عبارة عن سدّ الاحتياجات الاقتصادية بمختلف أنواعها... الصحيّة والثقافية... وتهيئة المسكن... و وسيلة الكسب... وقد ورد بيان هذا المجال في القرآن الكريم وفي السنة الشريفة... ضمن نظم اجتماعية في غاية الدقة والشمول.

٢- التعاون التربوي... وهو عبارة عن أن لا يدخر المسلم وسعاً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... وإرشاد الآخرين

وهديتهم... و هذا المجال جم الفائدة بل لا تستقيم الحياة بدونه  
 أبداً... ثم إنه في الواقع نوع من حب الخير للناس.  
 ولشديد الأسف نرى أنّ المسلمين قد تركوا هذا الواجب  
 العظيم... وأكبر الظن أنّ السبب في ذلك أوهمام من نسج الخيال..  
 جعلتهم يعتقدون أنهم لا يملكون القوة ولا يتمتعون بالحماية التي تتيح  
 لهم أداء هذا الواجب.

نعم ترك المسلمون هذه السنّة المباركة... فلم يحولوا دون  
 تفشي الآثام والشور... ولم يدعوا إلى أعمال الخير و يرغبوا  
 إليها... فكان أن ذبلت الروح التربوية للأخوة الاسلاميّة  
 وذابت... وفقدت من جرّاء ذلك كل الخصائص التي تبعث في  
 هيكل المجتمع الحياة.

## الاخوة الاسلاميّة في عصرنا الحاضر:

إن المسلمين في العصر الحاضر بحاجة إلى التآخي والاتحاد  
 أكثر من أيّ عصر مضى وذلك لأنّ هذه المنطقة من العالم والتي يطلق  
 عليها اسم العالم الإسلاميّ منطقة غنيّة جداً بثرواتها الطبيعيّة إن لم نقل  
 أنّها المنطقه الوحيدة في العالم التي تتمتع بهذه الخصائص، وقد لفتت  
 كثافة الثروات الطبيعيّة التي منّ الله سبحانه بها على وطننا  
 الإسلاميّ انظار المستعمرين من أعداء الإسلام... فأصبح همهم  
 الوحيد خيرات هذه المنطقة... الأمر الذي جعلهم يخططون  
 لتفريقنا والقاء الفتن بيننا لأنهم يعلمون أنّ اختلافنا وتناحرنا يفتح

لهم الباب على مصراعيه ويمكنهم من نهب خزائن نعمة الله في بلادنا.

إن علينا أن نكون أذكاء متيقظين لنقطع الطريق على كل المحاولات التي تستهدف إبقاءنا أمة ممزقة...

والخطوة الأولى التي لا بد لنا منها هي بناء الأخوة الإسلامية التي أرسى دعائمها النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم).

ومهما عظمت قوة المسلمين فإنهم سيظلون بحاجة إلى التآخي والاتحاد، وبما أن المسألة على هذا الجانب من الأهمية فإن من الواجب أن يدرس مبدأ التآخي في الله في مدارسنا بشكل يستهوي الطلاب.

وشيء جيد جداً لو يدرس هذا المبدأ السامي في المراحل الدراسية الثانوية والجامعية ويطبق عملياً تحت إشراف مدرسين أكفاء وإلى جانب واجب المدرسة... فإن على البيت أن ينشئ طفله نشأة إسلامية صحيحة... فيحسسه بالآلام الآخرين بالمستوى الذي يتناسب مع مستواه.

وليكن شعارنا:

نحو أخوة إسلامية جديدة...

وليكن عملنا في طريق احقاق وحدة المسلمين وتآخيهم وصيرورتهم يداً واحدة على الكفار في أرجاء العالم.

وقد ظهر نموذج من تأثير الأخوة الإسلامية في انتصار الثورة الإسلامية في إيران بقيادة قائدها العظيم الإمام خميني حينما رفض

الشعب المسلم الايراني في ظل التعاون والتآخي حكومة الطواغيت و صار يعيش تحت لواء الاسلام و خرج عن سلطة الشرق والغرب منادياً بشعار التوحيد والله اكبر...

## نبي الرحمة:

بعث النبي الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) رافعا علم السلام والأخوة حتى استطاع في النهاية و عن طريق شعار «مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ»<sup>١</sup> أن يحكم دعائم السلام العالمي والتعايش السلمى الصحيح لا المزييف.

الإسلام... استطاع أن يجتاز مشاكل الصراعات الطبقيّة والعنصريّة التي كانت عاملاً محرّكاً في كثير من الحروب... و قدم لهذه المشاكل أفضل الحلول... أمّا دنيانا اليوم رغم ما فيها من مظاهر التمدّن، فإنّها لم تستطع حتى الآن أن تجدها مخرجاً من هذه الأزمة التي تهدّد وجودها... ولذلك نرى نيران الحروب دائمة الضرام. ولقد بلغ السلم والعدالة في الإسلام درجة من الوضوح والصراحة بحيث إنه دعي «أهل الكتاب»<sup>٢</sup> إلى الاتحاد، قال تعالى:

١- سورة الأنبياء ١٠٧.

٢- أهل الكتاب اصطلاح يراد به أصحاب الأديان السماويّة، وانما أطلق عليهم ذلك لأنّ لكل اتباع دين منهم كتاباً منزلاً من الله سبحانه.



# الجهاد في الإسلام

## نبى الرحمة:

بعث النبى الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) رافعا علم السلام والأخوة حتى استطاع في النهاية و عن طريق شعار «مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ»<sup>١</sup> أن يحكم دعائم السلام العالمى والتعايش السلمى الصحيح لا المزيف.

الإسلام... استطاع أن يجتاز مشاكل الصراعات الطبقيّة والعنصريّة التي كانت عاملاً محرّكاً في كثير من الحروب... و قدم لهذه المشاكل أفضل الحلول... أمّا دنيانا اليوم رغم ما فيها من مظاهر التمدّن، فإنّها لم تستطع حتى الآن أن تجدها مخرجاً من هذه الأزمة التي تهدّد وجودها... ولذلك نرى نيران الحروب دائمة الضرام. ولقد بلغ السلم والعدالة في الإسلام درجة من الوضوح والصراحة بحيث إنه دعي «أهل الكتاب»<sup>٢</sup> إلى الاتحاد، قال تعالى:

---

١- سورة الأنبياء ١٠٧.

٢- أهل الكتاب اصطلاح يراد به أصحاب الأديان السماويّة، وانما أطلق عليهم ذلك لأنّ لكل اتباع دين منهم كتاباً منزلاً من الله سبحانه.

«قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا...»<sup>١</sup>

وعندما هاجر المسلمون إلى المدينة ورفرت راية النصر فوق رؤوسهم، قدمت إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) طلبات إبرام صلح من بعض الجهات فقبلها... والشاهد لذلك عقود الصلح التي أبرمت مع عدة طوائف من اليهود في السنة الأولى للهجرة<sup>٢</sup>.

من هذا ومن غيره يستطيع الباحث أن يدرك أن الإسلام يريد للبشرية الدعة والاستقرار... ولذا فهو يركز على الصلح والتعايش الاجتماعي... ولذلك أيضاً قدم في هذا الميدان النظم والقوانين الكفيلة— ان طبقت بدقة— بإيجاد مثل هذا المجتمع الذي أصبح في عصرنا الحاضر حلاً جميلاً يدغدغ الخيال، والذي يجري في الجمهورية الإسلامية في إيران—منذ أشرفت الثورة الإسلامية فيها— إنما هو محاولة لوضع اللبنات الأولى للمجتمع الإسلامي الذي نأمل ان تتجه جميع الطاقات الإسلامية لتحقيق هذا المجتمع الأصيل.

## أهداف الجهاد:

الإسلام مدرسة حياة وعالية وهو يتكفل بإصلاح النظم الاجتماعية والاقتصادية بطريقته الخاصة... والإسلام ليس كقوانين الروم القديمة واليهود والنازيين...

١— سورة آل عمران آية ٦٤.

٢— اعلام البورى الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٠ ص ٦٩.

التي كانت مختصة بمجتمع معين أو عنصر معين...  
 بل إن الإسلام دين لجميع أهل الأرض... والمسلمون  
 ملزمون بوحي من تعاليم دينهم أن يعملوا على إرساء قواعد الصلح  
 والعدل وأن يبذلوا كل ما في وسعهم لإنقاذ الشعوب المستعبدة مما  
 تعاني من ظلم وحرمان...  
 إن على المسلمين أن يعملوا على توعية العالم وهدايته إلى  
 طرق الخير التي تؤمن له حياة حرة كريمة.

و من هنا يجب أن يكون واضحاً أنّ المجاهدين المسلمين  
 ليسوا حين جهادهم - بصدد احتلال بقعة من الأرض وضمتها إلى  
 العالم الإسلامي... كما أنهم ليسوا بصدد قلب نظام حكم أو ماشابه  
 ذلك...

ان الجهاد سعي مخلص لا تشوبه شائبة... جهد مشكور  
 يبذل في سبيل الله و تحرير عباده... لترسيخ السلام وإخماد نار  
 الفتن.

هذا الهدف الكبير... وهذه التعليمات السامية من شأنها  
 ان تقضي على الأنانية وحب الذات والروح النفعية التي كلفت  
 البشرية الكثير الكثير على مر التاريخ.

والفطرة الإنسانية تحكم بأن الأعضاء الفاسدة في المجتمع أياً  
 كانت امتيازاتها التي أعطتها لنفسها يجب أن تستأصل... لتؤمن  
 الأرضية الصالحة لسعادة الناس ونجاتهم.

ولاشك أنّ كلّ متعطش إلى العدالة والحرية بمفهومها  
 الصحيح يبادر إلى أداء واجبه في هذا المضمار ويقف مؤيداً كلّ

خطوة تبذل في هذا السبيل.

## ما أجمل كلام الله:

«... وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ»<sup>١</sup>.

ليست الحرب في الإسلام غاية... ولا هدفاً نهائياً... وإنما هي وسيلة ردع للأقوياء الذين لا يسمعون لغير القوة صوتاً... وسيلة رفع للظلم عن المظلومين الذين لا يملكون ما يدافعون به عن وجودهم... ولهذا— أي لأنهم عزل ضعفاء— أضحوا غنيمة الاستعباد والطغيان...

الجهاد في الإسلام عمل جليل إيجابي لخير البشرية... و هو أبعد ما يكون عن السلبية والشر والدمار.

وأقرأ معي مقاله ذلك المسلم حين دخل على رستم القائد الإيراني فخطبه بالعبارة التالية: (الله ابتعثنا والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، و من ضيق الدنيا إلى سعتها، و من جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه ورجعنا عنه و تركناه وارضه يليها دوننا و من أبي قاتلناه أبداً...)<sup>٢</sup>.

١- البقرة ٢٥١.

٢- تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢٢٧١.

## هل انتشر الإسلام بالسيف؟

أصبح واضحاً مما تقدم أنّ من واجب المسلمين أن يتصلوا بالشعوب الأخرى ويمتنوا علاقاتهم بها. خصوصاً تلك الشعوب التي تعاني من أوضاع اجتماعية متداعية. وقلنا إنّ من واجب المسلمين ذلك كي يمكنهم عن هذا الطريق عرض ما جاء به الإسلام من نظم رائعة منبثقة عن عقيدة متينة، تستوعب الكون والإنسان والحياة...

وفي كل الصراعات التي خاضها المسلمون مع أهل الكتاب لم يسجل لنا التاريخ أنّهم أجبروا أحداً على اعتناق الإسلام... فلقد كان باستطاعة أهل الكتاب أن يعيشوا في ظلّ الدولة الإسلامية بمجرد أن يقبلوا شروط الصلح التي تعرضها هذه الدولة... وفي المقابل تؤمن لهم الحماية التامة التي تؤمنها للمسلمين.

ولقد تعهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في صلح الحديبية بأنه إذا أسلم أحد من أهل مكة ثم جاءه الى المدينة... فإنه سيرجعه الى مكة بشرط «ان المسلمين بمكة لا يؤذون في اظهارهم الاسلام ولا يكرهون ولا ينكر عليهم شيئ يفعلونه من شرائع الإسلام» وقبلت قريش ذلك<sup>١</sup> وقد التزم (ص) بتعهده هذا و عمل به.

وفي فتح مكة ترك النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قريشاً على سجيّتها ولم يحمل أحداً على اعتناق الإسلام. فالعقيدة لا تفرض بل لا يمكن أن تفرض من الخارج... كل ما في الأمر أن المجال كان مفسوحاً أمام الجميع لمعرفة هذا الدين الجديد والاطلاع على تعاليمه.

وقد أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) المسلمين أن لا يقتلوا أحداً في مكة باستثناء عدة أشخاص كانوا يؤذون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).<sup>١</sup>

و عندما كان الكفار يطلبون الأمان من الرسول كان (ص) يعطيهم ما أرادوا ليكون إسلامهم فيما بعد عن بحث و تحقيق... وليس بدافع الخوف على أنفسهم.

و مثلاً على ذلك صفوان بن أمية و كان أيضاً شديداً على النبي (ص) فهرب خوفاً إلى جدّة فقال عمير بن وهب الجمحي: يا رسول الله إن صفوان سيد قومي و قد خرج هارباً منك فأمنه. قال هو آمن وأعطاه عمامته التي دخل بها مكة ليعرف بها أمانه، فخرج بها عمير فأدركه بجدة فأعلمه بأمانه و قال: إنه أحلم الناس و أوصلهم وأنه ابن عمك وعزه عزك وشرفه شرفك. قال: إنني أخافه على نفسي. قال: هو أحلم من ذلك، فرجع صفوان وقال لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إن هذا يزعم أنك آمنتني. قال: صدق. قال: اجعلني بالخيار شهرين قال: انت فيه أربعة أشهر، فأقام كافراً وشهد معه حينئذ والطائف ثم أسلم.<sup>٢</sup>

وهكذا يصبح واضحاً أن الحرب في الإسلام إنما هي لأولئك الذين عرفوا الحق جيداً وأدركوه بجلاء... ولكنهم مع ذلك كله يحاربونه و يحاولون القضاء عليه، الامر الذي يعتبر أيضاً قضاء على سعادة الآخرين.

١- اعلام الورى ص ١١٠.

٢- الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٤٨ - ٢٤٩.

إن الإسلام لم يشرع تجريد السيف إلا لإطفاء الفتن  
ولإنقاذ الشعوب المضطهدة ولإيجاد المناخ الملائم للتكامل البشري  
المنشود.

وإن إيمان المسلمين الأوائل واستقامتهم خير دليل على أن  
الإسلام لم ينتشر بقوة السيف.

لقد كان مسلمو الصدر الأول للإسلام شديدي التعلق  
بدينهم وكانوا يواجهون جميع المشاكل التي تعترض مسيرتهم بروح  
عالية... وبصبر لامثيل له.

وأحد من هذه الطليعة بلال الحبشي الذي كان أبوجهل  
—بعد ما علم باسلامه— يطرحه على الرمضاء المحرقة، ويضع فوقه  
صخرة كبيرة...

رمضاء محرقة... وثقل مؤلم وهجير لافح... وأبوجهل يزجر:  
أكفر برب محمد... فماذا كانت النتيجة...

وتصفع أبوجهل كلمات ينطق بها هذا الانسان المعذب...  
احد... احد... احد<sup>١</sup>.

هذه صورة نقدمها عن الاستقامة التي كان المسلمون  
الأوائل يتحلون بها... فهل باستطاعة أحد بعد ذلك أن يقول إن  
الإسلام انتشر بالسيف؟ لقدفات أعداء الإسلام الذين يروجون هذه  
الشبهة الواهية التي ظنوا— بعد بحث وفتيش— أنها نقطة الضعف  
في الإسلام... لقد فاتهم أن هذا الدين الخالد انما ينتشر لمقومات



وخصائص فيه... فهو دين الفطرة... و هو دين العدالة... ثم هو دين شامل لجميع نواحي الحياة.

فهذا الدكتور غوستاف لوبون يعجب بمسيرة الإسلام وتقدمه السهل المحير وتعتبر ذلك من خصائصه<sup>١</sup>. ويقول كاتب مسيحي آخر:

قد كان للروابط التجارية والثقافية بين البلاد الإسلامية وغيرها أثر في انتشار يفوق الفتوح العسكرية بمراحل.



# دوافع حروب النبيّ

(صلى الله عليه وآله وسلم)

## وإحصاء القتلى فيها

## إيديولوجية التفاهم الدولي:

كان النبيّ الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلّم) لا يلجأ إلى السيف إلاّ إذا تطلّبت الظروف ذلك ، حيث تقف العقبات حائلاً دون تقدّم الدعوة الإسلاميّة... وحيث يكون الظلم والاستبداد... حينئذ يأتي دور السيف ليزيل العقبات ويمحو الظلم... ويرفع راية الحقّ والعدالة...

هكذا كان صلى الله عليه وآله وسلّم على العكس تماماً مما نعرفه من سيرة الأغلبية قادة العالم الذين يجارون لأغراض توسعية ولامتصاص الثروات الطبيعيّة والإنسانيّة...

أجل... إنّ الحروب التي وقعت في زمان النبي كانت تستهدف إعادة الحقّ إلى نصابه وإزاحة تلك الطبقة النفعية التي كانت تستعبد عباد الله، وتستهدف أيضاً إقامة حكم عادل منصف يحقق أطروحة التعايش الدولي المنشود.

وحرب كهذه هل يمكن أن تكون عدوانية لامشروعة؟! إنّ من البديهيّ أنّ الحرب ضرورية لكل نبيّ لأنه ليس ثمت من

طريق آخر يمكنه سلوكه فيما إذا جُوبه وحُورب. إن النبي عيسى عليه السلام لم يجرد السيف لأن مدة نبوته كانت قصيرة ولم تكن الشروط مساعدة له على ذلك... ولولا ذلك لكان هو أيضاً قد اتبع نفس الأسلوب الذي اتبعه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ليقطع الفساد من الجذور.

و من هنا فإن حركات التبشير المسيحية تتعسف وتخبط حين تركز على أعداد القتلى في حروب النبي (ص) وتضخمها حسب ماتشهي. وتؤكد على أن هذه الحروب كانت ذات طابع إجرامي، ونحن نرى أن الهدف من هذا الاعتساف شيان:

الأول: إضعاف الروح الثورية في الشعوب الإسلامية، الأمر الذي ينتج عنه تقلص المد الإسلامي الذي يتسع يوماً بعد يوم.  
الثاني: محاولة يائسة لتبرير الجرائم الفاضحة التي ارتكبتها الكهنوتية في محاكم التفتيش وفي الحروب الصليبية حين قتلت الملايين من الأبرياء.

وسنحاول هنا أن نبين باختصار دوافع حروب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعد ذلك نقدم ثبوتاً بأعداد القتلى لكي تتضح الحقيقة... وليدرك القراء الأعزاء فلسفة هذه الحروب ويطلعوا على الرقم العادي الذي يشكله عدد القتلى.

## ١ - حرب بدر:

بقي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مع أصحابه بعد البعثة

ثلاثة عشر عاماً في مكة يتحمل الأذى في جنب الله متجنباً إراقة  
 الدماء... وفي النهاية اضطر (ص) إلى أن يغادر مسقط رأسه ويهاجر  
 إلى المدينة المنورة... ولكن مع ذلك لم يكف الكفار عن ايدانه...  
 وكانوا يعدّون المسلمين العزل ولا يسمحون لهم بالهجرة من مكة<sup>١</sup>.  
 وكانوا أيضاً قدصّموا على أن يضربوا على النبي وأصحابه  
 حصاراً اقتصادياً شديداً. ومنعوا القوافل من نقل المواد الغذائية إلى  
 المدينة... ولقد استمر هذا الحصار زمناً طويلاً... مما أوقع أهل  
 المدينة في ضائقة وعسر واضطربهم للسفر إلى سواحل البحر الأحمر  
 للحصول على المواد الغذائية اللازمة<sup>٢</sup>.  
 و كان أبوجهل قد أرسل رسالة شديدة اللهجة إلى النبي  
 (صلى الله عليه وآله وسلم) وهدده فيها بغزوه والهجوم عليه<sup>٣</sup>.

### وهنا نزلت الآياتان الكريمتان:

«إِذْ نَزَّلْنَا بِالنَّبِيِّينَ يُفَاتِلُونَ بَأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذُنُوبِهِمْ  
 لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا  
 اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتِنَتِ صَوَامِعُ وَبَيْعٌ  
 وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ  
 يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ»<sup>٤</sup>.

١- بحار الأنوار ج ١٩ ص ١٤٣.

٢- محمد ستاره ای كه دژ مكّه دَرْتَشِيد (فارسی) ص ٩٢.

٣- بحار الأنوار ج ١٩ ص ٢٦٥-٢٦٦.

٤- الحج ٣٩-٤٠.

ولأجل الدفاع عن الحقوق الحيائية للمسلمين... ولكي يفوت النبي الفرصة على المشركين، خرج لمواجهة قريش في العام الثاني للهجرة... وتمت المجابهة في بدر<sup>١</sup>، ومع أنّ المسلمين كانوا ثلث الكفار عدداً فقد أحرزوا النصر بقوة الإيمان وإرادة الله سبحانه<sup>٢</sup>.

## ٢- حرب أحد:

بعد أن قتل في بدر عدّة من المشركين أخذت قريش تعد العدة للانتقام... وجهزت جيشاً إلى المدينة وفي منطقة أحد<sup>٣</sup> هتمت بالمجابهة بين جيش الإسلام والكفر... ولأنّ فئة من المسلمين لم تلتزم بالخطّة التي كان قد وصفها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فلم يربح المسلمون المعركة<sup>٤</sup>.

## ٣- الأحزاب - الخندق:

في السنة الخامسة للهجرة ذهب عدّة من يهود بني النضير إلى مكة لتحريض قريش على المسلمين... واغتتمت قريش الفرصة فجهزت جيشاً جرّاراً من قبائل مختلفة. ولكي يؤمن المسلمون الحماية الكاملة لعاصمتهم اضطروا

١- بدر منطقة بين مكة والمدينة... وتبعد عن المدينة حوالي (١٧٠) كيلومتراً...

٢- الكامل ج ٢ ص ١١٨، اعلام الورى ص ٧٦.

٣- الطبقات القسم الاول ص ٢٥ - ٢٩.

أن يحفروا خندقاً حول المدينة وكان جيش المشركين مؤلفاً من عشرة آلاف رجل ولكنه هزم بعد أن قتل عليّ عليه السلام قائده الشرس عمرو بن عبدود العامري وكان النصر بإذن الله للمسلمين<sup>١</sup>.

#### ٤ - بنو قريظة:

كان بنو قريظة<sup>٢</sup> قد عقدوا مع النبي - (صلى الله عليه وآله وسلم) معاهدة صلح، ولكنهم نقضوها وحاربوا في وقعة الأحزاب إلى جانب قريش... ولم ير النبي (ص) بدأً من حرهم وذلك لخطرهم على الإسلام بعد أن نقضوا العهد وأصبحوا محاربين، وأصدر النبي (ص) أمره للجيش بعد حرب الخندق بالتوجه إليهم... وحاصرهم المسلمون خمسة وعشرين يوماً، وبعدها استسلم الأعداء...

وجاءت الأوس تطلب من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الصفح عنهم، فسألهم عما إذا كانوا يرضون بتحكيم سعد بن معاذ الذي هو من كبار الأوس فيهم فقبلوا... ظناً منهم أن سعداً سيعفو عنهم... ولكنه بدلاً من ذلك حكم بقتل المحاربين من رجالهم، وتقسيم أموالهم، وسبي الذراري والنساء.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لسعد: لقد حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسوله<sup>٣</sup>، وقتل كل المحاربين منهم.

١- الطبري ج ٣ ص ١٤٦٣ - ١٤٧٦.

٢- من يهود أطراف المدينة.

٣- الطبري ج ٣ ص ١٤٨٧ - ١٤٩٣.



## ٥- حرب بني المصطلق:

بنوالمصطلق فئة من قبيلة خزاعة. و كانوا قد ناؤوا المسلمين... وقد بلغ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تأمرهم على الإسلام فتوجه إليهم بجيش من المسلمين ليحول دون تنفيذ مخططاتهم... وتمت المجاهدة معهم في مكان اسمه المريسيع، وكان النصر للمسلمين. وقد وقعت هذه الحرب في السنة السادسة للهجرة<sup>١</sup>.

## ٦- خيبر:

في حصون خيبر كانت تعيش طائفة كبيرة من اليهود يبلغون أربعة عشر ألفاً وكان لهم مع كفار قريش روابط اقتصادية وعسكرية، و كان ذلك يهدد أمن المسلمين وسلامتهم ولذلك هاجمهم المسلمون في السنة السابعة للهجرة، وبعد المحاصرة والحرب استسلموا للدولة الإسلامية<sup>٢</sup>.

## ٧- مؤتة:

في السنة للهجرة الثامنة أرسل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

١- الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٩٢.

٢- الطبقات ج ٢ ص ٧٧-٧٨.

الحارث ابن عمر إلى ملك بصرى<sup>١</sup> وحمله رسالة إليه، وعند ما وصل رسول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى مؤتة قتل، وأمر النبي المسلمين بالخروج لحرب العدو وكانت المواجهة في مؤتة مع جيش هرقل ملك الروم المؤلف من مائة ألف مقاتل من الروم وغيرهم. ودارت حرب شديدة طاحنة قتل فيها قادة الجيش الإسلامي زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب و عبدالله بن رواحة... ولم يستطع المسلمون مواصلة القتال فرجعوا إلى المدينة<sup>٢</sup>.

## ٨- فتح مكة:

في صلح الحديبية عقدت معاهدة بين المسلمين والمشركين، على المشركين بموجبها أن لا يتعرضوا للمسلمين ولا لحلفائهم ولكنهم نقضوا هذه المعاهدة واتفقوا مع بني بكر على إبادة بني خزاعة الذين كانوا من معاهدي المسلمين وحلفائهم، ولكي يضع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حداً لهذه التجاوزات وضع خطة لفتح مكة... ونفذت الخطة... ودخل المسلمون هذا البلد الشريف... وفي بيت الله الحرام قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خطابه التاريخي:...

«ألا لبئس جيران النبي كنتم: كذبتهم وطردهم وأخرجتم وفلتم مريضهم حتى جئتموني في بلادي فقاتلتموني، فاذهبوا فأنتم الطلقاء؟ فخرج القوم كأنما نشروا من القبور<sup>٣</sup>».

١- موضع بالشام.

٢- الطبقات ج ٢ القسم الاول ص ٩٢-٩٤.

٣- اعلام الورى ص ١٠٤-١١٢، بحار الأنوار ج ٢١ ص ١٠٦.

وقد كان من آثار هذا التسامح والعمو العظيم أن أقبل  
 المكِّيون على دين الله أفواجاً أفواجاً.  
 وفي هذا الفتح أمر النبي المسلمين أن لا يجاربوا إلا دفاعاً  
 عن أنفسهم ولكنه أباح دم ثمانية من المشركين... وقتل منهم  
 أربعة... ولم تقع مجابهة إلا بين مجموعة من المسلمين كان يقودها  
 خالد بن الوليد ومجموعة أخرى من المشركين كان يقودها عكرمة بن  
 أبي جهل... وقتل فيها عدة أشخاص<sup>١</sup>.

## ٩- حنين - هوازن:

مع أن قبيلة هوازن كانت تعلم أن النبي (صلى الله عليه وآله  
 وسلّم) لا ينوي التعرض لها فقد جهزت جيشاً لحرب الإسلام... فجهز  
 النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) جيشاً قوامه اثنا عشر ألف مقاتل...  
 وبعد التقاء الجيشين في وادي حنين هزم الكفار واستسلموا<sup>٢</sup>.  
 و بعد هذا الحرب قصد النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم)  
 الطائف لحرب قبيلة ثقيف التي كانت تعاونت مع هوازن على  
 حرب المسلمين... و بعد مدة من محاصرة ثقيف صرف رسول الله  
 (صلى الله عليه وآله وسلّم) النظر عن فتح ديارها وعاد إلى مكة<sup>٣</sup>.  
 و غير هذه الحروب كانت سفرات تبليغية و مواجهات

١- الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٤٧ - ٢٥٠.

٢- بحار الأنوار ج ٢١ ص ١٤٩.

٣- السيرة لابن هشام، القسم الثاني ص ٤٨٢.

محدودة... وها نحن نقدم إحصاء بالقتلى المسلمين والكافرين في جميع الحروب التي دارت في زمان النبي صلى الله عليه وآله. معتمدين على المصادر التاريخية المعروفة:  
(أنظر الصفحة التالية)

اسم الحرب	تاريخ الخميس	السيرة لابن هشام	تاريخ اليعقوبي	الطقات	بحار الانوار	تاريخ الطبري
بدر	٨٤	٨٤	٨٦	٨٤	٨٤	٨٤
أحد	٩٣	٩٢	٩٠	١٠٩	١٠٩	٧٠
الخدق	٩	٩	١٤	١١	٩	٩
بنو قريظة	٨٠٠	٨٥٠	٧٥٠	٧٠٠	٩٠٠	٨٥٠
بنو المصطلق	١٢	—	—	١٠	١٠	—
خيبر	٣٢	٢٣	—	٩٨	—	—
موتة	٢١	١٣	—	١٣	—	٣
فتح مكة	٣٩	٢٠	—	٣٣	—	٢١
حنين وطائف	٩٦	١٠١	—	٨٧	١١٢	٨٥
بقية الحروب	٢٥٠	١٢٢	—	١١٩	٣٣٣	٢١٠

## توضيح:

١- عند إعداد هذا الإحصاء أخذنا بالحدّ الأكثر عند اختلاف الروايات وحيث لم نتمكن من تعيين العدد تركنا المكان خالياً.

٢- «تاريخ الخميس» الذي جعلناه أحد مصادرنا هنا عبارة عن مجموعة منتخبة من عشرات الكتب في التفسير والتاريخ والحديث.

ولاشك أنّ البقاريء العزيز قد لاحظ أنّ حروب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم تكن بهدف التوسع والاعتداء وإنما كانت كل هذه الحروب لوضع الحدّ لناقضي عهد المعتدين... ولحفظ استقلال المسلمين... والدفاع عنهم... ولإعلاء كلمة الحق.

عالمية الإسلام

## الإسلام دين الشرق والغرب:

ظهر الإسلام منذ يومه الأول كالمعين الصافي الزلال، ثم أخذ ينمو ويتسع ويتعمق أكثر فأكثر إلى أن بدا كالتهر العظيم المتدقق يسقي الإنسانية في مختلف بقاع الأرض فيروها.

وكان الإسلام كلما انتشر ازداد اتساعاً وعمقاً وقد استطاع بصدق أن يخلص البشرية من كل الأنظمة الخاطئة ويرشدها إلى طريق الخير والسعادة. وقد استمر في الانتشار بالرغم من السياسات الاستعمارية العالمية وبالرغم من النشاطات التحريفية التي كان يقوم بها أعداء الإسلام من أجل القضاء على جذوره. ويتمتع الإسلام بكثير من المقومات ومنها الخلود والعالمية، وعلى أساس هذين الأمرين العظيمين وضع قوانينه وتشريعاته.

إن خاصية الإسلام الكبرى هي مطابقته للفظرة البشرية التي تلامس قضايا الناس جميعاً في كل مكان أو زمان ويقوم عليها أساس حياتهم. وبناءً على هذا فإن الذين يقولون: إن الشرق شرق والغرب غرب ولا يمكن لنبي شرقي أن يقوم بقيادة الغرب، من



يدّعي هذا فهو مخطيء خطأ شديداً لأنه لافرق بين الشرق والغرب من جهة الفطرة، فكما أنّ الإنسان الشرقي يحتاج إلى دين فطري فكذلك الغربي أيضاً.

## من مكة دعى النبي العالم إلى الإسلام:

عند ما أطلق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) شعار التوحيد في فضاء مكة المظلم لم يكن قصده صلوات الله عليه أن يصلح منطقة الحجاز والمنطقة العربية... بل كان مأموراً أن يبدأ رسالته العالمية من المحيط العربي...

والشاهد على ذلك ما قاله في بدء دعوته مخاطباً عشيرته الأقرين:

(إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة)<sup>١</sup>.  
و يؤيد هذه الحقيقة من القرآن الكريم عدة آيات نذكر منها  
ثلاثة:

- ١- قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً<sup>٢</sup>.
- وأنت تلاحظ أنّ الخطاب لم يستعمل كلمة (العرب) أو (الشرقيين) وإنما الخطاب يشمل جميع الناس من شرقيين و غربيين.
- ٢- وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ<sup>٣</sup>.

١- كامل التواريخ ج ٢ ص ٦١ طبع بيروت سنة ١٣٨٥.

٢- سورة الأعراف آية ١٥٨، يذكر في مجمع البيان ج ٤ ص ٣٣٩ إنّ هذه الآية نزلت في مكة.

٣- سورة الأنبياء ١٠٧.

### ٣- وَأَوْحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ<sup>١</sup>.

يظهر جلياً من هذه الآيات أن رسالة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عالمية، ولم تكتسب هذه الصفة - بعد ذلك - في المدينة عند انتشار الإسلام بل كانت منذ ابتدائها شاملة لجميع الأزمنة والأمكنة.

قال الإمام الصادق عليه السلام جواباً للرجل الذي سأله: ما بال القرآن لا يزداد على النشر والدرس إلا غصاً؟ فقال: لأن الله تبارك و تعالى لم يجعله لزمان دون زمان ولا لناس دون ناس فهو في كل زمان جديدٌ وعند كل قوم غصٌّ إلى يوم القيامة<sup>٢</sup>.

### شاهد آخر على عالمية الإسلام:

في السنة السادسة من الهجرة أرسل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) رسائله إلى حكام العالم و سُمها بكلمة (محمد رسول الله) ودعاهم إلى الإسلام، و معنى هذه الرسائل واحد و هو الدعوة إلى عبادة الله والوحدة والتآخي في الله. ولأن هذه الدعوة كانت بأمر من الله وإنذاراً للناس فقد أثرت فيهم أثراً عميقاً وملفتاً للأنظار بحيث قبل هذه الدعوة كل باحث عن الحقيقة كالنجاشي والمقوقس

١- سورة الأنعام ١٩.

٢- سفينة البحار ج ٢ ص ١٣.

وغيرهم<sup>١</sup>.

وتدلّ التحقيقات التي أجريت حول الرسائل التي أرسلها النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الملوك ورؤساء القبائل وأصحاب الأديرة أنها تزيد على اثنتين وستين رسالة نعرف منها ٢٩ رسالة<sup>٢</sup> ونحن نذكر بعضها:

١- لكسرى ملك الفرس: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس.

سلام على من اتبع الهدى و آمن بالله ورسوله و شهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، و أن محمداً عبده ورسوله، أدعوك بدعاية الحق فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة؛ لأنذر من كان حياً و يحق القول على الكافرين أسلم تسلم فإن أبيت فعليك إثم المجوس<sup>٣</sup>.

٢- لهرقل ملك الروم:

بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الروم. سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين<sup>٤</sup>.

«يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً

١- كامل التواريخ ج ٢ ص ٢١٠.

٢- مكاتيب الرسول ج ١ ص ٤١-٣٥ و ص ١٨٢-٩٠.

٣- مكاتيب الرسول ج ١ ص ٩٠.

٤- اختلف العلماء في ضبط هذه اللفظة، وعضل ما قالوا في معناها أنهم كانوا قوماً عرفوا بالاثم بين الروم تلك الأيام.

مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ»<sup>١</sup>

وَلَمْ تَكُنْ رَسَائِلَ النَّبِيِّ مَنحَصَرَةً فِي الْمَلُوكِ فَقَطْ وَلَكِنْ كَانَ يَرْسَلُهَا إِلَى الشُّعُوبِ وَأَصْحَابِ الدِّيَانَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ كَيْ يَطَّلِعُوا عَلَى بَزْوِغِ شَمْسِ الْإِسْلَامِ.

٣- إلى وادي اليمين هودّة: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هُودَةَ بْنِ عَلِيٍّ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى وَأَعْلَمَ أَنَّ دِينِي سَيُظْهِرُ إِلَى مَنْتَهَى الْخَنْقِ وَالْحَاغِرِ - أَيِّ حَيْثُ تَقَطَّعَ الْإِبِلُ وَالْحَيْلُ - فَأَسْلَمَ تَسْلَمَ وَاجْعَلْ لَكَ مَاتِحَتَ يَدَيْكَ.<sup>٢</sup>

٤- إلى اليهود: «مَنْ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) أَخِي مُوسَى وَصَاحِبِهِ بَعَثَهُ اللَّهُ بِمَا بَعَثَهُ بِهِ، أَنِّي أَنشَدُكُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى مُوسَى يَوْمَ طُورِ سَيْنَاءَ، وَفَلَقَ لَكُمْ الْبَحْرَ وَأَنْجَاكُمْ وَأَهْلَكَ وَأَطْعَمَكُمْ الْمَنَ وَالسَّلْوَى وَظَلَّلَ عَلَيْكُمْ الْغَمَامَ هَلْ تَجِدُونَ فِي كِتَابِكُمْ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ وَإِلَى النَّاسِ كَافَّةً فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْلَمُوا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَكُمْ فَلَا تَبَاعَةَ عَلَيْكُمْ»<sup>٣</sup>.

٥- إلى أسقف نجران: بِاسْمِ إِلَهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى أُسْقَفِ نَجْرَانَ.. أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ وَأَدْعُوكُمْ إِلَى وِلَايَةِ اللَّهِ

١- مكاتيب الرسول ص ١٠٥.

٢- السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٨٦.

٣- مكاتيب الرسول ج ١ ص ١٧٢.

من ولاية العباد فإن أبيتم فالجزية فإن أبيتم آذنتكم بحرب «والسلام»<sup>١</sup>.

## وظيفتنا في تبليغ الإسلام:

إن تقدم الإسلام مدين قبل كل شيء لجهود النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) المتتالية وسهره الدائم هو وأصحابه الأوفياء، وقد استفاد النبي (ص) في ذلك من قوتين هما:

الأولى: المبلغون الذين أدركوا حقيقة الإسلام والذين كان لهم صلة متينة بالنبي وإيمان عميق به.

الثانية: الرسائل التي كانت تدل على تعاليم حياة أفضل وتعكس الإسلام بشكل واضح. وبالرغم من عدم وجود الوسائل اللازمة لتبليغ الإسلام عند النبي (ص) فقد أرسل إلى أنحاء العالم. ولا شك أن روح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تنتظر من المجتمع الإسلامي أن يبلغ رسالة الإسلام ويستفيد من الوسائل الجديدة وأسلوب في ذلك لينشر تعاليم الإسلام في العالم كله.

يجب علينا أن نوظف كل إمكانيّة نملكها من أجل تبليغ الرسالة الإسلامية التي هي عاقبة لكل الناس كما تقدم. ويجب أن لانأسف على بذل ما يلزم في هذا الطريق من التضحيات لنشر الإسلام كي نهدي إخواننا في الشرق والغرب إلى المعين الذي يمدّهم

بالحياة. ونعيش بالتالي في دنياً ملائياً بالفضيلة والخدمة تماماً كما قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام):  
«وأيم الله لأن يهدي الله على يدك رجلاً خيراً لك مماطلعت عليه الشمس وغربت ولك ولأئته يا علي»<sup>١</sup>.

محمد

(صلى الله عليه وآله وسلم)

خاتم الأنبياء

## خلود الإسلام و خاتمية النبي محمد

(صلى الله عليه وآله وسلم).

خاتمية النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) كوحداية الله سبحانه من المسلمات والحقائق الواضحة عند جميع فرق المسلمين. والدين الإسلامي يبقى جديداً أبداً وكلما اتسعت آفاق البشرية واتضحت رؤيتها وتحددت، اتضح خلود هذا الدين وظهرت عجائبه.

وسنحاول هنا أن نتناول هذه المسألة المهمة... أبدية هذا الدين وخلوده، وفي البداية سنذكر أهمّ العلل والمقومات التي تجعل المبدأ أبدياً ثم ننتقل إلى تفصي ذلك في الإسلام:

١- انسجام المبدأ مع الفطرة من أهمّ علل أبعديته فالدين الذي يتركز على أساس من فطرة الإنسان و واقعه يحفظ نفسه من الاندثار... ويؤمن أسباب خلوده وصلاحيته لكل زمان رغم ما يحدث من تطورات وما يستجد من مشاكل.

٢- حينما تكون نصوص المبدأ مرنة يكون عمرها أطول منه



حين مالا تكون كذلك.. لأنها عند ما تكون مرنة غير مرتبطة بزمان أو مكان... ولا ذات طابع خاصّ يمكن أن تلبّي الحاجة التشريعية رغم تبدل الأزمنة والأمكنة... وتبقى حيّة كأنها وضعت لتعالج المشاكل المعاشة فعلا.

أما القوانين التي لا تتصف بالمرونة والتي وضعت لحالة خاصة و وقت معين، فلا يمكن أن تنال حظاً من البقاء... فمثلاً إذا قيل: أنّ على الناس أن لا يستعملوا في تنقلهم إلاّ وسائل النقل الطبيعية كالفرس و ماشاهه من الحيوانات الأخرى، فإنّ هذا القانون لا يمكن له أن يدوم، وذلك لأنّ الحاجة الملحة تفرض على الناس أن يستعملوا وسائل نقلية أخرى تم صنعها والاهتداء إليها وهذه الوسائل توفروقتاً وجهداً إلى غير ذلك .

والواقع أنّ إحدى العلل التي بسببها اندثرت الأديان القديمة هي أنها لم تكن تملك قابلية البقاء... و كانت خاصة بمجتمع معين في وقت معين.

٣- الشمول. الدين الخالد لا بد و أن يكون شاملاً كاملاً بمعنى أنه لا يترك واقعة من وقائع الحياة إلا و يضع لها حكماً... ولا يترك مشكلة من المشاكل إلا و يقدم لها حلاً... ولا مسألة من المسائل التي هي موضع حاجة الناس إلا و يضع لها جواباً...

أجل فإنّ الروح البشرية العطشى لا يمكن أن تروى بسلسلة تشريعات جافة لا روح فيها من قبيل العشاء الرباني و شرب الخمر و لبس الصليب كقلادة وغير ذلك.

## ٤- الحل عند الضرورة

و من الأشياء التي لا بد من توفرها في المبدأ لكي يتخذ طابع الأبدية... أن يقدم للإنسان الحل عند ما يصل إلى طريق مسدود... فالمقررات العامة والقوانين التي يقدمها المبداء قد تتعارض فيما بينها أحياناً كما في موارد الضرورة.

مثلاً بناء على تحريم شرب الخمر... ووجوب الحفاظ على النفس يتعارض هذان الحكمان في مورد يتعين الخمر علاجاً لمرريض. فيصبح هذا المريض في طريق مسدود لا يدري بأي الحكيم يلتزم؟ إذن- بالإضافة إلى المقررات العامة- لا بد من تقديم الحل عند الضرورة.

هذه- بإيجاز- أهم علل بقاء ودوام المبدأ وسنرى فيما يلي وبإيجاز أيضاً ما إذا كانت هذه المقومات قد روعيت في التشريع الإسلامي أم لا.

## الإسلام، الدين الخالد:

١- الانسجام مع الفطرة: إن القوانين والتشريعات الإسلامية قد لو حظ فيها حين تقنينها وتشريعها فطرة الإنسان وحاجته... ولذلك جاءت هذه التشريعات كفيلة بتأمين التوازن بين غرائز الإنسان. مثلاً الغريزة الجنسية قدم لها الإسلام حلولاً مختلفة و واضحة يمكن عن طريقها إرضاء هذه الغريزة كما يمكن أيضاً وضع الحد لطغيانها وإفراطها الذي يكون سبباً في كثير من المفسد والمشاكل التي تصيب.

٢- العمومية: القوانين الإسلامية ليست ذات طابع خاص بحيث تكون محدودة بزمان أو مكان حتى يلتزم بتغييرها مع مرور الزمان أو تبدل المكان... بل هي عامة ملحوظ فيها جميع الأزمنة والأمكنة وتتمام الحالات والأوضاع... مثلاً: الجهاد في الإسلام لا يتخذ طابعاً خاصاً يجعله محدوداً كما يجاب الحرب بالسيف، بل يلزم المسلمين أن يعدّوا لأعدائهم ما استطاعوا من قوة ليستطيعوا الدفاع عن حقوقهم الحيوية و احراز النصر في ميدان الحرب... وهذا الحكم كلي ينسجم مع جميع الأزمنة والحالات... وهكذا فإنّ القوانين الإسلامية الأصلية الأخرى تعتبر مبادئ وقوانين عامة توضح لنا حكم كلّ واقعة خاصة.

٣- الشمول: الدين الإسلامي أكثر الأديان شمولاً... ولقد تناول المسائل الاقتصادية والعسكرية والحقوقية والأخلاقية وغير ذلك... تناولاً متيناً دقيقاً تقف عقول العلماء عاجزة متحيرة. ولا يفتقر هذا الادعاء العريض إلى الدليل إذا ما لاحظنا آلاف الكتب التي ألفها العلماء المسلمون في هذه الميادين والتي تستمد من معين القرآن الكريم وأحاديث النبي وأهل بيته الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

٤- الحلّ عند الضرورة في موارد الحاجة: نجد أنّ الإسلام وضع قوانيناً عامة تعين وظيفة الإنسان من قبيل: قانون «لا ضرر ولا ضرار في الإسلام» و من قبيل «الضرورات تبيح المحظورات»

ومن قبيل «ما جعل عليكم في الدين من حرج» وبالإضافة إلى ذلك فإن للنبي أو الإمام أو الفقيه الخبير بالشرعة أن يعين الوظيفة طبقاً لقواعد معينة ليس محل تفصيلها هنا.

وهكذا، فإن هذه المقومات جميعها موجودة في الإسلام... وهذا يثبت أننا لسنا بحاجة إلى تشريع آخر لأننا إنما نكون بحاجة إليه حين نفقد التشريع الذي يلبي جميع حاجاتنا... كما يثبت أننا لا نحتاج إلى نبي جديد ليأتي بتشريع صالح... والمفروض أنا نمتلك مثل هذا التشريع... فعدم الحاجة إلى تشريع جديد هو عبارة أخرى عن عدم الحاجة إلى نبي جديد... وخاتمية التشريع الإسلامي تعني خاتمية النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) للأنبياء جميعاً صلوات الله عليهم...

## الخاتمية في القرآن الكريم:

تناول القرآن الكريم شمولية الشريعة الإسلامية وخاتمية

النبي (ص) في آيات عديدة نذكر منها:

١- وَنَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ

وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٢.

١- قانون الاضطرار يجري في مورد العسر، و قانون الحرج يجري في مورد المشقة والتعب الشديد، و قانون الضرر يجري في مورد الضرر. و شرائط جريان كل قانون من هذه القوانين و خصوصياته مذكورة في كتب الفقه الاسلامي و علم أصول الفقه، فعليكم بالرجوع اليها أو إلى أساتذتها لمعرفة التفاصيل.

٢- الانعام ١١٥، تفسير الميزان ج ٧ ص ٣٤٨ تفسير منهج الصادقين ج ٣ ص ٤٣٩.

٢- مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ  
اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا<sup>١</sup>.

وكلمة (خاتم) بفتح التاء أو كسرهما عند ما تضاف الى الجمع تكون بمعنى آخر، وخاتم النبيين يعنى آخر النبيين<sup>٢</sup>، والنبي أعم من الرسول<sup>٣</sup> و بناء عليه فإن جميع رسل الله وأنبيائه يطلق عليه أنبياء، و إذن فالآية الكريمة حينما تقول خاتم النبيين فإنها تقول إنه (ص) خاتمهم جميعاً ولا يأتي بعده نبي ولا رسول ولا صاحب كتاب ولا غير ذلك .

٣- إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ<sup>١</sup>.

هذا الآية تدلنا على أن القرآن هو الدستور الأكمل والمنهاج الأقوم، وطبيعي أنه والحالة هذه لا حاجة بنا لدستور آخر.

## الخاتمية في الأحاديث الشريفة:

لقد ورد ذكر الخاتمية في المصادر الإسلامية بكثرة. لا تدع مجالاً للشك بها... وسندكرهنا بعض الروايات:  
قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أيها الناس إنه لا نبي

١- الاحزاب ٤٠.

٢- لسان العرب مادة «ختم».

٣- صرح بذلك العلماء والمفسرون اعتماداً على اللغة والقرآن والحديث، للتأكيد راجع جامع الجوامع ص ٢٧٥ تفسير الميزان ج ٢ ص ١٤٤، تفسير الكشاف ج ٣ ص ١٦٤ تفسير البيضاوي ص ٤٤٧، مجمع البيان ج ٧ ص ٩١، روح المعاني ج ٢٢ ص ٣٢ وغير ذلك.

١- سورة الإسراء ٩.

بعدي ولاسنة بعد سنتي فمن ادعى ذلك فدعواه وبدعته في النار  
ومن ادعى ذلك فاقتلوه ومن اتبعه فهم في النار الخبر<sup>١</sup>.

وقال الباقر والصادق عليهما السلام: لقد ختم الله بكتابكم  
الكتب وختم بنبيكم الأنبياء<sup>٢</sup>.

وقال علي عليه السلام: فقفى به الرسل وختم به الوحي<sup>٣</sup>.  
وقال النبي: يا عليّ أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة  
هارون من موسى إلاّ أنه لانبّي بعدي<sup>٤</sup>.

وقال الإمام الرضا عليه السلام: شريعة محمد لا تنسخ إلى  
يوم القيامة، ولا نبّي بعده إلى يوم القيامة<sup>٥</sup>.

هذه الروايات و كثير غيرها - كما يرى القارىء العزيز -  
تدلّ بوضوح تام على خاتميّة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وخلود  
الإسلام. وعظمة هذا الدين وسمو مقاصده وشمول قواعده و  
عموميّتها مما يضمن جدته على مر الزمان... وهذه نعمة كبرى من  
نعم الله عزّ وجلّ.

إن ديناً كهذا الدين العظيم ليجب أن يطرح على انه البديل  
لكل النظم والأديان... فما أجل أن نعمل في سبيل نشر الإسلام  
ليرى العالم خيره العميم...

١- مستدرک وسائل الشيعة ج ٢ ص ٢٦٢ باب ٤٠.

٢- اصول الكافي ج ١ ص ١٧٧.

٣- نهج البلاغة الخطبة ١٣٣ منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ج ٨ ص ٣٠٤.

٤- الكامل ج ٢ ص ٢٧٨ ط سنة ١٣٨٥ هـ.

٥- عيون اخبار الرضا ط قم ج ٢ ص ٨٠.

حديث الغدير

و

خلافة النبي

(صلى الله عليه وآله وسلم)

## واقعة غدیر خم:

السنة العاشرة للهجرة... وهذا موسم الحج... صحراء  
الحجاز تشهد جمعاً غفيراً من الحجيج وكلّهم يسرون بشعار واحد نحو  
هدف واحد.

هذه السنة يتميز الحجّ بحرارة خاصّة، والمسلمون يقطعون  
المسافات ويمتازون المنازل بسرعة وشوق.

صوت التلبية الحارّ يتعالى في صحراء مكّة، وهذه القوافل<sup>١</sup>  
تقترب من أمّ القرى واحدة بعد الأخرى، وهؤلاء الحجاج بثياب  
الإحرام ذات اللون الواحد... والتي علاها غبار الطريق...  
وبالعيون التي اغرورقت بالدموع... يلقون بأنفسهم في أحضان  
بيت الله الحرام طائفين حوله... ذلك البيت المقدّس الذي شيد على  
يد أبي الأنبياء خليل الله إبراهيم عليه السّلام... والذي جعله الله  
سبحانه أمناً لعباده في الأرض.

---

١- يذكر محمد فريد وجدي في دائرة المعارف ج ٣ ص ٥٤٢ ان عدد الحجاج هذه السنة بلغ  
٩٠٠٠٠ وقد ورد في الغدير ج ١ ص ٩ انه بلغ ١٢٤/٠٠٠.



ويظل النبي (ص) على المسجد الحرام يتلاطم بأمواج الحجيج... وكلهم أخوة في الله إنما المؤمنون إخوة مستغرقون في العبادة والصلاة والدعاء بخضوع وخشوع كأنهم من الملائكة المكرمين.

وترى في وجه النبي (ص) أمارات السرور والارتياح لهذا الإنجاز العظيم ويحمد الله سبحانه على هذه النعمة فلقد استطاع أن يؤدّي الرسالة على أكمل وجه. ولكن رغم ذلك ترى في وجهه (ص) هالة من الحزن والأسى العميق ليست وليدة الساعة بل كانت تبدو عليه منذ مدة بين الحين والآخر فتطغى على بشاشته النبوية وتغتال البسمة في شفثيه المباركتين.

إنه يفكر فيما بعد موته... ويخشى على هذا التجمع أن يتبدّد... وعلى روح الأخوة فيه أن تذوب... فيرجع المسلمون القهقري إلى ما كانوا عليه في الجاهلية.

إنه (ص) يعلم جيداً أنّ أمته بأمرس الحاجة إلى قيادة إمام عالم عادل يحفظ جهوده (ص) من الضياع...

نعم إنّ جهوده (ص) التي استغرقت ما يقارب ربع قرن من الزمن... تلك الجهود الجبارة المضيئة... مهددة بالضياع إن لم تؤمن للأمة من بعده قيادة صالحة تقود السفين إلى الشاطئ المنشود.

يدلنا على ذلك أنه (ص) طليعة حياته المباركة كلما أراد الخروج من المدينة ومهما تكن مدة السفر صغيرة... كان يسلم أزقة الأمور لشخص أمين كفوء... ويفرض على المسلمين إطاعته وتنفيذ أوامره... ولم يحدث أبداً أنه (ص) ترك المسلمين في المدينة بيد

الحوادث تتصرف بهم كيف تشاء<sup>١</sup> وبناء على ذلك فكيف يمكن أن نتصور أنه «ص» يترك أمور أمته بعد وفاته بيد الحوادث والأهواء. كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يعلم ذلك جيداً وكان يعلم أيضاً أن هذا المقام لمن... ومن هو الذي يمكنه أن يعي هذا المركز. من هو هذا الإنسان الذي له فقط حق خلافة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)؟

انه ذلك الذي قال عنه النبي (ص) بحضور عدة من شيوخ قريش (من أقارب النبي): «إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا»<sup>٢</sup>.

إنه ذلك الرجل النزيه الطاهر الذي لم يشرك بالله طرفة عين... ولم يسجد لصنم قط. وهو الذي خاض الحروب مضحياً بنفسه... وفدى النبي (ص) بنفسه ليلة الهجرة... كل ذلك لنصرة الدين ولترتفع رايته خفاقة مصونة الجانب.

علمه الفياض يستقي من معين علم رسول الله... وقضاؤه الاول<sup>٣</sup> بعد قضاء النبي الأعظم (ص) انه المشهور والمعروف الأ وهو علي بن أبي طالب عليه السلام. وانقضى موسم الحج... وتفرق الناس... كل باتجاه بلده وأهله... وفي الصحراء حدثت مفاجأة...

١- الكامل ج ٢ ص ٢٤٢-٢٧٨-٢١٦.

٢- الطبري ج ٣ ص ١١٧٣-١١٧١.

٣- فضائل الخمسة من الصحاح الستة طبع دار الكتب الاسلامية ج ١ ص ١٨٦-١٧٨.

منادوا النبي يدعون المسلمين الى الرجوع اليه... فاذا

حدث؟

إنه الأمين جبرائيل يرد على رسول الله، وأبلغه قوله تعالى:  
 «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ  
 تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ  
 لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ»<sup>١</sup>.

ولم يكن هذا الموضوع الذي يخاطب الله سبحانه نبيّه لأجله  
 بلهجة شديدة إلا الإعلان الرسمي لخلافة الإمام عليّ (عليه السلام)  
 وذلك لان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يحاذر من ذكر ذلك لأنه  
 كان يخشى أن يكون ذلك سبباً في وقوع الخلاف والفرقة الشديدة بين  
 المسلمين— فكان لا بد من انتظار المناخ الملائم... وبعد نزول هذه  
 الآية تبين أن المناخ الملائم مهياً الآن... ولذلك جمع النبي (صلى الله  
 عليه وآله وسلم) المسلمين في صحراء الحجاز الجرداء المحرقة وفي مكان  
 منها يدعى غدیرخم حتى يبين لهم روح الاسلام وقوامه. ألا وهي  
 مسألة الخلافة...

ولم يكن الناس يعلمون لماذا صدر إليهم هذا الأمر وأي  
 موضوع مهم استجد... ولكن سرعان ما أعلنت صلاة الجماعة...  
 وبعد أداء فرض الظهر ظهر الرسول الأكرم وسط هذا الجمع الحاشد  
 بسيماه السماوية... وارتقى المنبر الذي كان قد أعدّ من أقتاب  
 الإبل...

وخيم الصمت على صحراء الحجاز اللافحة اللاهبة...  
ولكن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مزق هذا السكون بكلماته  
الخالدة:

«... أيها الناس قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر  
نبي إلا مثل نصف عمر الذي قبله و إني أوشك أن أدعى  
فأجيب وأنتم مسؤولون فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت  
ونصحت وجهدت فجزاك الله خيراً قال: أستم تشهدون أن لا إله  
إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأن جنته حق وناره حق وأن  
الموت حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في  
القبور. قالوا: بلى نشهد بذلك. قال: اللهم اشهد».

.... إلى أن قال (ص) بعد أن أخذ بيد عليّ فرفعها  
حتى بان بياض إبطيها:

«أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم قالوا:  
الله ورسوله أعلم. قال: إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا  
أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فعلي مولاه (يقولها ثلاث  
مرات وبتعبير ابن حنبل أربع مرات) ثم قال: اللهم وال من  
والاه وعاد من عاداه، وأحب من أحبه وأبغض من أبغضه  
وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار. ألا  
فليبلغ الشاهد الغائب».

ثم لم يتفرقوا حتى نزل أمين وحي الله بقوله:  
«الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي

وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا»<sup>١</sup>.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اللَّهُ أَكْبَرُ عَلَى إِكْمَالِ الدِّينِ وَإِتْمَامِ النِّعْمَةِ وَرَضِيَ الرَّبُّ بِرِسَالَتِي وَالْوَلَايَةَ لِعَلِيِّ مِنْ بَعْدِي» ثم طفق القوم يهنئون أمير المؤمنين عليه السلام، ومن هنا في مقدم الصحابة الشيخان أبو بكر وعمر، كل يقول: بَحَّ بَحَّ لَكَ يَا بَنِي أَبِي طَالِبٍ أَصْبَحْتَ وَأَمْسَيْتَ مَوْلَايَ وَمَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ<sup>٢</sup>.

## رواة حديث الغدير:

يتجاوز عدد رواة حديث الغدير المائة وعشرين ألفاً... و ذلك طبيعي جداً إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن المسلمين قد التزموا بقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) «أَلْفِ لَيْلِغِ الشَّاهِدِ الْغَائِبِ» ثم إن هذه الواقعة كانت أهم حوادث سفر الحج في تلك السنة<sup>٣</sup>... و من الطبيعي جداً أن يكثر نقلها والتحدث بها...

ولأهميتها الخاصة كانت تثار بين الحين والآخر... أي أنها لم تكن كسائر الحوادث العادية يدور حولها الكلام لمدة ثم يطوها النسيان...

ذات يوم و بعد مرور خمس وعشرين سنة على هذه الحادثة

١- المائدة: ٣.

٢- النص مأخوذ من الغدير ج ١ ص ١٠-١١.

٣- الغدير ج ١ ص ٦٠-٦١.

العظيمة— أى في الوقت الذى كان قد توفى فيه كثير من الصحابة ولم يبق منهم إلا قلة— طلب عليّ عليه السلام في مسجد الكوفة ممن سمع حديث الغدير من النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) ان يذكره... فنهص من بين الجالسين ثلاثون نفرأ ونقلوا الحديث<sup>١</sup>.

وقبل وفاة معاوية بسنتين أي سنة ٥٨ أو ٥٩ جمع الحسين عليه السلام في منى بني هاشم والأنصار وسائر الحجاج وقال من جملة ما قال: أنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله نصبه (أى علياً) يوم غدير خم فنأدى له بالولاية وقال ليبلغ الشاهد الغائب قالوا: اللهم نعم<sup>٢</sup>. وقد أورد علماء السنة في كتبهم أسماء مائة وعشرة أصحاب سمعوا حديث الغدير ونقلوه... بالإضافة إلى أن عدّة من العلماء المعروفين من السنة أيضاً— ألفوا كتباً خاصة بهذا الحديث الشريف<sup>٣</sup>.

## معنى الحديث:

كل الدلائل توضح أن المقصود من كلمة «مولى ووليّ» في الحديث، هو الخليفة والقائد للأمة الإسلامية ولا يمكن أن تنسجم مع معنى آخر... واليك الدليل:

١— علمنا مما سبق أن النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) كان

١— الغدير ج ١ ص ١٦٦ و ١٧٤، مسند احمد بن حنبل ج ٤ ص ٣٧٠.

٢— الغدير ج ١ ص ١٩٨—١٩٩.

٣— الغدير ج ١ ص ١٤—٦١ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٢٠٨.

يخشى من طرح حديث الغدير... ولم يفعل ذلك إلا بعد أن ورد إليه الأمر الصريح وباللهجة الشديدة التي عرفت.  
فهل يمكننا إذن أن نقول أن المقصود من حديث الغدير هو تذكير الناس بصداقة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي عليه السلام؟...

وان كان هذا هو القصد والهدف فما هو المبرر للخشية من الإفصاح بهذا... ولماذا يهدد هذا وحدة المسلمين وأخوتهم... ثم هل تستحق مسألة الصداقة بينهما - صلوات الله عليهما - أن يحشر الحجيج في بقعة من الأرض جرداء... تكوهم الشمس من جهة... ورمضاء الهجير من جهة أخرى... فيضطر أحدهم أن يضع طرفاً من ثوبه تحت رجليه... والأخر فوق رأسه كما يحدثنا التاريخ؟<sup>١</sup>.

٢- ان النبي (ص) قبل أن يقول: (من كنت مولاه فعلي مولاه) أخذ من المسلمين الاعتراف بأنه أولى بهم من أنفسهم.  
و هذا يدل بوضوح على أن الولاية التي جعلها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي هي عين الولاية التي هي له صلى الله عليه وآله وسلم.

وهذه الولاية ليست صداقة أو محبة بل هي ولاية عامة و قيادة مطلقة... وإن كانت تتضمن المحبة والعطف فهو (ص) بالمؤمنين رؤوف رحيم.

٣- إن حسان بن ثابت قد نظم واقعة الغدير شعراً بإجازة

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد انتشر ذلك الشعر وشاع برضى النبي (ص) وعلمه... وقد ورد في شعر حسان تصريح بالخلافة والامامة... ومع ذلك لم يعترض عليه معترض من ذلك الجمع الغفير قائلاً له إنك قد أخطأت في تفسير كلمة مولى... بل إن الجميع استحسنا شعره ومدحوه، وإليك بعض شعر حسان:

فقال له قم يا عليّ فإنني رضيتك من بعدي إماماً وهادياً  
فمن كنت مولاه فهذا وليّهُ فكونوا له أتباع صدق موالياً<sup>١</sup>

لقد فسّر حسان قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بأنه نصّ على الإمام بالخلافة ولم يعترض عليه أحد مما يدل على أن الجميع قد فهموا نفس مافهمه حسان وما نفهمه نحن الآن.

٤- إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد الانتهاء من الخطبة الشهيرة أمر أن تنصب خيمة ليجلس فيها الإمام عليه السلام للتهنئة وأمر المسلمين حتى نسائه هو (ص) أن يهتئوه وبياعوه ويسلموا عليه بإمرة المؤمنين<sup>٢</sup> و من البديهي أن هذه المراسم لا تنسجم إلا مع الولاية والخلافة.

٥- قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هنتوني هنتوني إن الله تعالى خصني بالنبوة وخصّ أهل بيتي بالإمامة.<sup>٣</sup>

وهكذا يرى القارئ العزيز، أن هذه الشواهد توضح حديث الغدير ولا تبقى فيه أي إبهام.

١- الغدير ج ٢ ص ٣٤-٤١. تذكرة خواص الائمة لابن جوزي لحنق ص ٢٠.

٢- الغدير ج ١ ص ٢٧٠-٢٧١.

٣- الغدير ج ١ ص ٢٧٤.



# أخلاق محمد

(صلى الله عليه وآله وسلم)

## وسلوكة

## حاجة المجتمع إلى الأخلاق

كلما تقدم العلم وترقت التكنولوجيا، ازدادت حاجة البشرية إلى الأخلاق... و من الضروري أن تسيّر القوانين الأخلاقية التي جاء بها الأنبياء جنباً إلى جنب مع التقدم العلمي والصناعي، وذلك لأن الحضارة المعاصرة لا تقدم للإنسان سوى وسائل الراحة... والآلات على اختلاف أنواعها... ولا تقدم أي ضمان يؤمن عدم استغلال الإنسان لهذه المخترعات والمكتشفات واستعمالها في ضرر الإنسانية.

وهذا الازدياد في إحصائيات الجرائم والجنايات والقتل والانتحار وسائر مظاهر الفساد... إنما يوضح هذه الحقيقة... إذا لم تكن الأخلاق— وهي جزء من رسالة الأنبياء— مسيطرة على سلوك المجتمع فإن العلم والصناعة لا يمكنها أن يؤمنا سعادة الإنسان و استقراره.

إن المستعمرين يستخدمون العلم والصناعة لمصالحهم— لأن الأخلاق فقدت— فيرملون الملايين و يسحقون حقوق الشعوب

المستضعفة... ويمتصون دماءها وثمراتها.

إن العامل الوحيد الذي يستطيع أن يمسك بزمام غرائز الإنسان العارمة وعصيانه وتمرده العاتين... والذي يستطيع أن يسخر العلم لصالح سعادة البشرية... إنما هو عامل الأخلاق التي تنبع من الإيمان الواقعي بالله سبحانه. وإن تعاليم الأنبياء الأخلاقية وسلوكهم أفضل وسيلة يمكنها أن توصل الدنيا إلى حياة أمثل. والأخلاق ضرورة للإنسان سواء في حياته الفردية أم الاجتماعية.

أما أولئك الذين يحملون مسؤوليات قيادية، فإن حاجتهم إلى الأخلاق تصبح أكثر إلحاحاً، وذلك لأن المرشد يجب أن يكون مثلاً يحتذى وقدوة في الصفات الإنسانية العالية والأخلاق الكريمة حتى يمكنه أن يطهر قلوب الناس من الرذائل.

بينما إذا كان— رغم مسؤوليته الاجتماعية— لا يمتلك أي رصيد أخلاقي، فإنه لن ينجح في أداء وظيفته... وستكون توجيهاته وجهوده— ذات آثار سطحية لا تلبث أن تتبدد.

وثانياً فإن مسؤولية التوجيه الاجتماعي تبلغ من الأهمية حدّاً لا يمكن للإنسان معه أن يتحملها بدون أن يكون ذامستوى أخلاقي رفيع... ولأجل هذا فإن الله سبحانه قد اختار أنبياءه يتحلون بالروحية العالية والصدر الرحب والحلم والتسامح وسائر الصفات الأخلاقية الفاضلة.

وبسلاح الأخلاق هذا استطاع الأنبياء صلوات الله عليهم أن يحظمو الأضنام ويغيروا الأوضاع الفاسدة المستغرقة في الفساد و يقبلوها رأساً على عقب... ويحرروا عباد الله من قبضة الهلاك.

وحول النبي محمد (ص) قال تعالى:

«فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا  
الْقَلْبِ لَآنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ»<sup>١</sup>.

أخلاق النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هي التي خلقت أول امواج التيار الإسلامي في المنطقة العربية وفي العالم كله... وفي ظل هذه الثورة المقدسة تحولت الفرقة إلى وحدة والتحلل إلى عفة وطهارة والعطالة إلى كدح وكد والأنانية إلى محبة والتكبر إلى تواضع وعطف وفي ظلها أيضاً نشأ أفرادهم نماذج أخلاقية وقدوة لمن سواهم... ولقد كانت النبي محمد من العظمة بحيث شهد الله سبحانه بها فقال «وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ»<sup>٢</sup> وهانحن نتناول هذه الصفة العظيمة لنتعرف على بعض جوانبها:

## محمد بين الناس:

مع أن نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) كان له مقام نبوة جليل... وكانت له سلطة وقيادة... فإن حياته ومعاشرته كانت عادية تماماً وبدون تجملات بحيث إن الغريب كان إذا أقبل على مجلسه (ص) يضطر أن يسأل أيكم محمد؟<sup>٣</sup>

١- سورة آل عمران - ١٥٩.

٢- سورة القلم - ٤.

٣- مستفاد من احاديث في البحارج ١٦ ص ٢٢٠-٢٢٩ ط الآخوندي طهران.

لم تغره الدنيا ولم تأسره المظاهر والاعتبارات... ولم يقع في حبايل شباكها... بل كان أبداً ينظر إليها بعين الزهد والتقوى<sup>١</sup>.  
 كانت عباراته (ص) صغيرة اللفظ قصيرة، لكنها مليئة المعنى كبيرته... لم يرقظ ماداً رجليه بين أصحابه، يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس عليه ان أبى ويكنى أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرامة لهم ولا يقطع على أحد حديثه<sup>٢</sup>.  
 ولم يكن حين كلامه لامبالياً... ولم يكن يستعمل الألفاظ القبيحة المستهجنة.

و كان «يجيب دعوة الحرّ والعبد ولو على ذراع او كراع، ويقبل الهدية ولو أنّها جرعة لبن ويأكلها ولا يأكل الصدقة لايثبت بصره في وجه احد»<sup>٣</sup>.

كان إذا دخل منزلاً قعد في أدنى المجلس حين يدخل<sup>٤</sup>.  
 ولقد كان (صلى الله عليه وآله وسلم) يأكل على الأرض ويجلس جلسة العبد ويخفف بيده نعله ويرقع بيده ثوبه ويركب الحمار العارى ويُرِدِف خلفه<sup>٥</sup>.

إنه (ص) لم يغضب إلا لله وللدين... ولذلك ايضاً كان

١- مستفاد من احاديث في البحار ج ١٦ ص ٢٢٠-٢٢٩ ط الآخوندى طهران.

٢- كجبل البصر ص ٦٩.

٣- البحار ج ١٦ ص ٢٢٦-٢٢٨.

٤- البحار ج ١٦ ص ٢٤٠.

٥- نهج البلاغة (صباحي الصالح) ص ٢٢٨.

يفرح .

عند ركوبه لم يكن يرضى بأن يرافقه أحد راجلاً .  
في السفرات الجماعية - أي حين كان يخرج للحج أو في  
غزوة مثلاً - لم يكن يرضى بأن يكون كلاً على مرافقيه .. بل كان  
يقوم بنفسه من العمل .

وقد قال (ص) ... ولكني أكره أن أتميز عليكم فإن الله  
يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه ... وقام - بعد ذلك -  
فجمع الخطب<sup>١</sup> .

كان (ص) وفيّاً لجميع معاهداته .

يصل الرحم ولا يدافع عن رحمه بدون مبرر شرعي .  
لا يسمح لأحد أن يتكلم على أحد فانه يجب ان يخرج الى  
الناس وهو سليم الصدر<sup>٢</sup> .

كان (ص) مثلاً في التأدب والحياء .

وكان مثلاً في رحابة الصدر والحلم والتسامح .

يقول أنس بن مالك : كان لرسول الله شربة يفطر عليها و  
شربة للسحر، و ربما كانت واحدة وربما كانت لبناً وربما كانت  
الشربة خبزاً يماث فهيأتها له (ص) ذات ليلة (فاحتبس) النبي (ص)  
فظننت أنّ بعض أصحابه دعاه فشربتها حين احتبس فجاء  
بعد العشاء بساعة فسألت بعض من كان معه هل كان النبي (صلى  
الله عليه وآله وسلم) أفطر في مكان أو دعاه أحد؟ فقال لا (إلى أن قال)

١ - كحل البصر ص ٦٨ .

٢ - البحار ج ١٦ ص ٢٣٢ - ٢٢٦ .

فأصبح صائماً وما سألني عنها ولا ذكرها حتى الساعة<sup>١</sup>.  
ولقد كان صلى الله عليه وآله وسلم يحب الصلاة كثيراً  
ولكنه عندما كان الناس يأتون إليه في حاجة ويجدونَه مشغولاً  
بالصلاة يخفف صلاته ثم يستمع إلى حوائج الناس ثم لا يدخر وسعاً  
في قضائها.

كان يحترم الجميع... ومقياس الفضيلة عنده الإيمان  
والعمل... ولم يكن يأبه بالثروة والجاه والمنصب... كان عطوفاً على  
الرقيق مهتماً بشؤونهم وحوائجهم<sup>٢</sup>.

### تسامحه وعفوه:

لم يكن من طبعه محاولة الانتقام ممن أساء إليه... و كان  
يتجاوز عن أخطاء الآخرين... و كان يواجه أذيتهم له بالعفو  
والتسامح<sup>٣</sup>.

ورغم كل الذي لاقاه من قريش في بدء الدعوة فإنه عند  
انتصاره عليهم في فتح مكة عفا عنهم<sup>٤</sup>.  
عفا عن (وحشي) قاتل عمه حمزة وكذلك فعل مع أبي  
سفيان وهند<sup>٥</sup>.

١- كحل البصر ص ٦٧-٦٨.

٢- البحار ج ١٦ ص ٢٢٨-٢٢٩ طبعة الآخوندي.

٣- البحار ج ١٦ ص ٢٦٤-٢٦٥.

٤- الكامل ج ٢ ص ٢٥٢ ط ١٣٨٥ هـ.

٥- الكامل ج ٢ ص ٢٥٢-٢٥٠.

ولكن مع شدة عفوه و تسامحه (ص) لم يكن يقبل بأدنى تجاوز لحدود الله... ولم يكن لتأخذه في الله لومة لائم... فعند ما أخبر أنّ فاطمة المخزومية سرت لم يتقبل وساطة أسامة بن زيد وقال<sup>١</sup> إنما هلك من قبلكم انهم كانوا اذا سرق الشريف تركوه واذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرت لقطع محمد يدها.

### نظافته وطهارته:

كان (ص) يحافظ على أن يكون بدنه وثيابه على طهارة دائماً... وكان يتعطر بأجود انواع العطور... حتى أنّ الإمام الصادق (عليه السلام) يقول: إنّ رسول الله كان ينفق في الطيب أكثر ممّا ينفق في الطعام<sup>٢</sup>.

ومن حيث مرّ (ص) كانت تفوح رائحة العطر...<sup>٣</sup> و أنّه (ص) كان ينظر في المرأة ويرجل جمته ويمشط وربما نظر في الماء وسوى جمته فيه ولقد كان يتجمل لأصحابه فضلاً على تجمله لأهله وقال إنّ الله يحبّ من عبده إذا خرج إلى اخوانه ان يتهيأ لهم ويتجمل<sup>٤</sup>.

١- ارشاد الساري ج ٩ ص ٤٥٦.

٢- وسائل الشيعة ج ١ ص ٤٤٣.

٣- سفينة البحار ج ١ ص ٤١٩.

٤- وسائل الشيعة ج ٣ ص ٣٤٤.



## عبادته وزهده:

لقد كان له (ص) ولع شديد بالصلاة روى عن ابى عبدالله عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا صلى العشاء الآخرة أمر لوضوئه وسواكه يُوضع عند رأسه مخمراً فيرقد ماشاء الله ثم يقوم فيستاك ويتوضأ ويصلى أربع ركعات ثم يرقد ثم يقوم فيستاك ويتوضأ ويصلى؛ إنه كان يستاك في كل مرة قام من نومه<sup>١</sup>.

وكان يطيل من خضوعه و خشوعه و وقوفه بين يدي الله سبحانه حتى انتفخت قدماه المباركتان<sup>٢</sup>.

وكان (ص) كثير التأمل شديد الاعتبار بما حوله من الأرض والسماء والشمس وغير ذلك ، وكان أكثر ما يفكر فيه هو عظمة الخالق... وأما زهده فكان من العظمة بحيث أن مظاهر الدنيا الخلابية لم تفتنه ولم تشدده إليها.

لقد كان محمد صلى الله عليه وآله قدوة في الصفات الأخلاقية الفاضلة...

وطبيعي أنه لا يمكننا أن نوفيها حقها من البحث في مقالة مختصرة... كلما يمكننا فعله هو أن نعطي صورة ما عن الصورة الواقعية الأصيلة المشرقة حتى يعلم المسلمون شيئاً عن افعال وسلوك نبيهم العظيم ويضعون ذلك نصب أعينهم ومثالاً حياهم، قال

١- وسائل الشيعة ج ١ ص ٣٥٦.

٢- كحل البصر ص ٧٨.

تعالى:

«لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ۗ»

فعليه سلام الله فإنه أول خلق الله وأفضلهم... وسلام  
الملائكة والصالحين والمقربين... وسلام احترام وتقدير منا ومنك  
أيها القارئ الكريم.

مسألة الخلافة

وخلافة النبيّ

(صلى الله عليه وآله وسلم)

## الحاجة إلى القيادة:

تدرك جميع المجتمعات البشرية مدى الحاجة إلى الرئاسة والقيادة التي تتكفل بتحريك عجلة المجتمع ولهذا فإنه بمجرد أن يموت قائد فعلي يدرك الكل ضرورة قيام آخر مقامه... وليس من المعقول أن يبقى الوضع فوضوياً وبدون رئيس معين. وذلك لأنه لن يعود على عرى المجتمع إلا بالتحلل والانفصام.

والمجتمع الإسلامي واحد من هذه التجمعات البشرية، وقد أدرك هذه الضرورة وهو يعي أنه لا بد بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من قائد يكمل مسيرته... وعلى وجود هذا القائد يتوقف بقاء الإسلام والمسلمين.

ولكن بما أنّ الحاجة إلى القيادة ذات دوافع متعددة فقد تعددت آراء المسلمين حول خصوصيات القائد: فمنهم من يرى أنّ الغاية من وجود الحاكم تشكيل الجهاز الحكومي وحفظ هيبة الحكم... ولذلك فإنّ الخليفة ينتخب انتخاباً من قبل المسلمين. ويقابل هذا الرأي رأي مدرسة آل البيت عليهم السلام

وأتباعهم فهم اعتماداً على براهين علمية وفلسفية وآيات قرآنية و روايات كثيرة، و اعتماداً على رؤية للموضوع أدق وأبعد مدى يقررون:

أن الدافع لوجود الخليفة المسلم هو التكامل الإنساني من شتى الجوانب... بمعنى أن الخليفة عليه أن يكمل المسيرة التي بدأها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في هداية البشر وإرشادهم و تكاملهم المطلق.

وبناء على هذا فإن القائد الذي يستطيع أن يقوم بهذه الرسالة يجب أن يكون معيناً من قبل الله سبحانه... ويجب أن يكون كالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من حيث قدرته على تعيين مشاكل الأمة وتشخيصها ووصف العلاج الناجع لها... وعلاجها إنما يكون بالأحكام الإلهية الواقعية... لأن هذه الأحكام هي وحدها التي يمكنها تأمين السعادة البشرية، وذلك لأنها من الله سبحانه والله يعلم نوازع النفس البشرية ومتطلباتها... والقوانين التي تسعدها.

هذا هو الدافع الواقعي للحاجة إلى القائد... وليس الدافع ماتقوله تلك النظرة السطحية من أنه عبارة عن تشكيل الجهاز الحاكم وحفظ هيبة الحكم...

وسنحاول هنا أن نتناول نظرة آل البيت وشيعتهم بشيء من التفصيل:

إن سبب الحاجة إلى خليفة للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو نفس سبب الحاجة إلى النبي نفسه، أوفقل إن الخلافة تتمم ذلك الأصل الذي ثبتت ضرورته وهو عبارة عن الهداية العامة، أي ان كل

مخلوق من المخلوقات قد أمنت له الوسائل التي بواسطتها يبلغ درجة الكمال... ولكنه يحتاج فقط إلى الهداية كي لا ينحرف... وطبيعي أن العقل لا يستطيع أن يؤمن له ذلك لأن رؤية العقل محدودة... بالإضافة إلى أن الفكر البشري معرض للاشتباه والانحراف الفكري والعاطفي... ولا يستطيع أن يقدم القوانين والتشريعات السليمة والمثمرة... ولذلك كان ولا بد من بعث الأنبياء لأنهم بواسطة الوحي من الله سبحانه يمكنهم أن يقوموا بهذه المهمة وبدون أن يقعوا في أي خطأ مهما كان صغيراً...

ومن البديهي أن هذا الدليل كما يثبت ضرورة وجود النبي بين الناس يثبت أيضاً ضرورة وجود الإمام الخليفة حتى يبقى عقد الرسالة نضيداً بوجود القائد الكفوء الذي يقدم للناس رسالة السماء على أتم وجه... ويقودهم إلى مراتب الكمال بفعله وسلوكه المثالي...

نعم... ان هذا الدليل يثبت أيضاً ضرورة وجود الامام، لأنه بدون ذلك لا يمكن للإنسان أن يستفيد القدرات المحببة فيه والتي وهبها الله له ليبلغ بها درجة الكمال. ومعنى ذلك أن وجود هذه القدرات في الإنسان سيكون عبثاً ولغوياً... وهذا لا يصدر من الله سبحانه... لأنه ليس من المعقول أن يودع في الإنسان قدرات لاحاجة له بها.

يقول الحكيم الإسلامي ابن سينا (في كتاب الشفا):<sup>١</sup>

«... فالحاجة إلى هذا الإنسان (اي النبي أو الولي) في أن يبقى نوع الإنسان ويتحصل وجوده أشد من الحاجة إلى إنبات الشعر على الأشفار و على الحاجبين وتغيير الأخص من القدمين واشياء اخرى من المنافع التي لا ضرورة فيها في البقاء، بل اكثر ما لها انها تنفع في البقاء و وجود الانسان الصالح لأن يسن و يعدل ممكن كما سلف مناذكره فلا يجوز ان تكون العناية الاولى تقتضى تلك المنافع ولا تقتضى هذه التي هي أسها الخ.

وهذا هو الدليل الذي يوضح جيداً ان خليفة النبي (ص) يجب أن يكون منصوباً و معيناً من قبل الله سبحانه و معصوماً منزهاً عن المعاصي و الاخطاء...

لان الخليفة ان لم يكن كذلك فهو معرض للوقوع في الخطأ كثيراً... الى جانب مجهولاته اللامحدودة... و في النتيجة فلن يكون باستطاعته ان يدرك اسرار السعادة البشرية المتكاملة ولا أن يقدم الدين الواقعي الصحيح للناس حتى يسعدوا بتطبيقه والالتزام به و يصلوا الى درجة الكمال<sup>١</sup>.

ولذلك فقد أوجب الله سبحانه على المسلمين إطاعة واتباع الذين نصبهم هو وعينهم لهذا المركز.. قال تعالى:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ»<sup>٢</sup>.

من البديهي أن المقصود من «أولى الأمر» الذين أوجب

١- للتوضيح أكثر يراجع كتاب (الشيعة في الاسلام).

٢- سورة النساء آية ٥٩.

الله طاعتهم كما أوجب طاعة الرسول وأمر باتباعهم في جميع الأشياء والأحوال هم الأئمة الذين عينهم الله سبحانه لخلافة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الأئمة المنزهون عن الخطأ وعن الأغراض الشخصية، والذين يقومون بهداية البشر إلى حقائق الأمور. وليس المقصود أبداً أصحاب الأهواء الذين تجرد في أقوالهم وأفعالهم آلاف الأخطاء والذين لا يمكن أن تصل البشرية باتباعهم الى التكامل المنشود.

## هل عين النبي الأكرم خليفته؟

كان النبي الأكرم يفدي الاسلام العظيم بنفسه... وكان يعلم أكثر من كل من عداه ان الاسلام الواقعي يجب أن يبقى في العالم الانساني محفوظاً مصاناً... فهل يمكن مع هذا أن نتصورانه (ص) التحق بالرفيق الاعلى دون ان يبين للمسلمين خليفته من بعده.

لقد أولى النبي (ص) من بداية مبعثه الشريف أهمية كبيرة لهذا الموضوع... وقد نصّ على خليفته بشكل واضح في موارد مختلفة. إن كل من يفكر في أقواله (ص) في هذا الموضوع جيداً يرى أن المقصود فيها ليس لإعلاء آل البيت عليهم السلام، ولم يكن المراد أبداً أحد سواهم. وهانحن نقدم نماذج من أقواله (ص) في هذا المضمار:

١- قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعليّ:



## أنت وليّ في الدنيا والآخرة<sup>١</sup>

٢- نقل علماء الشيعة والسنة أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) صرح في الملاء العام عدّة مرات قائلاً:

إنّى تارك فيكم ما إن اخذتم به لن تضلوا بعدي الثقلين  
كتاب الله عزوجل وعترتي...<sup>٢</sup>

والمقصود بالعترة أهل بيته (ص) عليّ وأولاده المعصومون لأنّ النبي نصّ عليهم ولأنهم هم المنزهون عن الخطأ وهم الذين لم يكن اتباعهم يؤدي الى الضلال.

٣- يقول أحمد بن حنبل إمام المذهب الحنبلي أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لعلي:

## انت وليّ في كل مؤمن بعدي<sup>٣</sup>

٤- ذكر العلماء، شيعة وسنة، إنّ النبي (ص) في آخر سنة من حياته الشريفة وبعد أداء فريضة الحج وقف بين عشرات الألوّف من المسلمين وقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه<sup>٤</sup>.

٥- هناك روايات كثيرة عن النبيّ الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) يصرّح فيها بأن خلفاءه من قریش وأنهم اثنا عشر

١- مسند أحمد بن حنبل ج ١ ص ٣٣١.

٢- مسند أحمد بن حنبل ج ٣ ص ١٧ و ص ٥٩ وورد في كتاب غاية المرام ٣٩ حديثاً بهذا المضمون عن طريق السنة و ٨٢ عن طريق الشيعة ص ٢١١ - ٢٣٥.

٣- مسند أحمد بن حنبل ج ١ ص ٣٣١.

٤- هذا الحديث من الاحاديث القطعية وقد الفت حوله كتب ضخمة - للتوضيح اكثر

راجع الغدير ج ١ ص ١٠ - ١١.

خليفة... حتى أنه ورد في بعض هذه الروايات بيان خصوصيات الأئمة الأطهار وأسمائهم<sup>٢</sup>.

هذه النماذج التي صدر بعضها عن النبي (ص) في آخر سنة من عمره المبارك ... توضح جيداً من و كيف هو الشخص الذي يجب أن يتولى زمام أمور المسلمين بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

## الشورى في الخلافة:

يعتقد فريق من الكتاب أن الخلافة يمكن أن تتم عن طريق الشورى وأكثرية الآراء... وقد استشهدوا لهذا بعدة آيات من القرآن الكريم ورد فيها الأمر بالمشاورة واعتبروا أن الانتخاب أحد الأسس الاجتماعية والسياسية في الاسلام غافلين عن:

١- إن الامامة متممة للأصل الأساسي للنبوّة، و كما أن النبوّة تعيينيّة وليست انتخابيّة فكذلك الامامة التي هي خلافة ذلك المقام النبوي.

٢- إنما تكون الشورى حيث لم يعين التكليف والحكم من الله سبحانه، و كما تقدم فإن النبي (ص) طبقاً للروايات الصريحة قد عين خليفته، فلم يبق مجال للشورى أبداً.

٣- لنفترض أن الشوري في هذا الأمر صحيحة... حينئذ لاشك في ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يبين شرائط الناصب

١- صحيح مسلم ج ٦ ص ٣.

٢- منتخب الاثر ص ١٠-١٤١ وغيره.

والمنتخب بشكل واضح حتى يكون الناس على بصيرة تامة من أمر هذه المسألة التي يتوقف عليها بقاء المجتمع الإسلامي وبقاء الدين المقدس... ولكن انرى أنه (ص) لم يقل شيئاً حول هذا بل قال العكس، فحينما أسلم بنوعامر على يديه (ص) قال له أحدهم:

أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال: الأمر الى الله يضعه حيث يشاء<sup>١</sup>.

و على أساس هذه الروايات— و غيرها— يعتقد الشيعة أن خلفاء رسول الله الذين نصّ عليهم هو صلوات الله عليهم كلهم معينون من قبل الله سبحانه... ويرون أن عليهم أن يرجعوا إلى هؤلاء الخلفاء والأئمة الطاهرين في جميع أمور حياتهم... وأن يتلقوا منهم تعاليم دينهم الواقعي الذي لم تنله يد التحريف.

ولحسن الحظ إن هذا الاعتقاد قد أتاح لنا الاستفادة من علم آل بيت النبي (ص) وجمع الذخائر والكنوز من الحقائق والمعارف التي يمكنها أن تضع الجواب لجميع مسائل الحياة في مختلف النواحي... ولهذا كان مذهب التشيع مذهب آل البيت... اغنى المذاهب الإسلامية وأثراها.



نظرة سريعة

لمسيرة الخلافة

امر الله تعالى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بتعيين علي بن ابي طالب خليفة له و ابلاغ ذلك الى الناس .  
 وفي مطلع الدعوة الى الاسلام جمع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اقاربه وعشيرته وقال لهم مشيراً الى علي عليه السلام :  
 ان هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا<sup>١</sup> .  
 وعند ما كان متجهاً إلى تبوك قال لعلي (عليه السلام) :  
 اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انك لست بنبي ، انه لا ينبغي ان اذهب الا وانت خليفتي<sup>٢</sup> .  
 وفي آخر سنة من حياته الشريفة و بعد اداء فريضة الحج وزيارة بيت الله الحرام والرجوع من ذلك وقف في غديرخم امام عشرات الالوف من المسلمين وقال :  
 من كنت مولاه فعلي مولاه<sup>٣</sup> .  
 وكذلك في آخر لحظات حياته قال للناس واصحابه

١- تاريخ الطبري ج ٣ ص ١١٧٢-١١٧٣ .

٢- مسند احمد بن حنبل ج ١ ص ٣٣١ .

٣- القدير ج ١ . البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٠٩ .

واتباعه:

اني أوشك أن أدعى فأجيب واني تارك فيكم  
الثقلين - ما ان اخذتم به لن تضلوا بعدي - كتاب الله عزوجل  
وعترتي كتاب الله جبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي  
اهل بيتي وإن اللطيف الخبير اخبرني انها لن يفترقا حتى يردا  
عليّ الحوض فانظروني بم تخلفوني فيها...<sup>١</sup>

كما اننا نجد من خلال عشرات الروايات الاخرى انه أكد  
على هذا الامر وهياً الارضية المساعدة ليكون زمام الامة الاسلامية  
بشكل طبيعي بيد علي بن ابي طالب. وحتى انه لم يكتف بهذا القدر،  
وانما قام ببعض الخطوات العملية الرائعة ليفشل كل الخطط المبيتة  
لكسب الخلافة وتحريف المسيرة.

فقد اعد جيشاً بقيادة اسامة بن زيد، وهو شاب كفوء  
قوي ليرسله الى الروم، وامر اهل المدينة بالالتحاق بالجيش وفيهم  
المهاجرون والانصار ومنهم ابوبكر وعمر، وطلب اليهم الخروج من  
المدينة وكررا التأكيد على لزوم تنفيذ بعث اسامة، وكان يكرر القول  
لكل من يرجع قائلاً:

«انفذوا بعث اسامة»<sup>٢</sup>.

وتشكيل هذا الجيش واختيار اسامة لقيادته في تلك الفترة  
حيث كان الرسول قد مرض مرضاً شديداً فكان يقضي آخر لحظات

١- مسند احمد بن حنبل ج ٣ ص ١٧ و ص ٥٩.

٢- كتاب الطبقات الكبير ج ٢ القسم الاول ص ١٣٧ شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد.  
ج ١ ص ١٦٠ - ١٥٩ طبع ١٣٧٨.

عمره الشريف، هذا التشكيل لم يكن الالتخية المدينة من العناصر المعارضة وسوق الخلافة وقيادة العالم الاسلامي بشكل طبيعي الى الامام على عليه السلام، وكذلك لكي يعلم الجميع ان الشيخوخة ليست شرطاً في القائد وانما الشرط الكفاءة، ولئلا يجعل صغر سن الامام علي(ع) ذريعة لاقصائه عن مقام الخلافة، ولكي يستطيع الرسول (ص) ايضاً ان يكتب سند خلافة الامام (عليه السلام) في منأى عن معارضة المعارضين.

الا ان المخالفين انفصلوا عن جيش اسامة ورجعوا الى المدينة وحينئذ طلب رسول الله(ص) من جمع صحابته قائلاً: ايتوني بدواة وصحيفة اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده ابداً... فرد عليه بعض اصحابه و وصفه بالهجر وكان في البيت لفظ وكلام وقال عمر: قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله.

ولقد تألم الرسول(ص) من هذا الامر بشدة وعلم ان كتابته لا يمكنها والحال هذه ان ترفع الاختلاف، وحتى انها قد توجب القضاء على اساس الاسلام ولذا فقد ظهر تبرمه وتألمه قائلاً لهم: قوموا عني<sup>١</sup>.

## السقيفة وما جرى فيها

توفي الرسول الأعظم(ص) في الثامن والعشرين من شهر صفر في السنة الحادية عشرة للهجرة وعم المدينة حزن شديد.



وفي الاثناء قام جماعة من المسلمين باغتنام الفرصة المساعدة وتركوا جسد الرسول (ص) وتجمعوا في سقيفة بني ساعدة.

أراد الأنصار أن ينصبوا زعيمهم سعد بن عباد كخليفة للرسول (ص) فلم يوافق على هذا عمر و ابوبكر، وقد أوضح ابوبكر خلال حديثه مقام المهاجرين وانهم سبقوا للاسلام وانهم عشيرة الرسول (ص) وأن امير المسلمين يجب أن يكون منهم والوزير من الانصار، وهنا نهض احد الانصار مقترحاً ان يختار كل فريق اميراً له، الآ ان حديث ابي بكر أثر في عدة من الحاضرين واستعدوا لان ينتخب الامير من المهاجرين، وبدون أن يستشيروا الباقين من المهاجرين والانصار غير الحاضرين في المجلس ويطلعوهم على هذا التصميم في هذا الموضوع الإسلامي الخطير صاروا هم القيمين على كل الشؤون.

وتداول ابوبكر و عمر الخلافة، فكان كل يقدمها لصاحبه وأخيراً بايع عمر أبابكر عليها<sup>١</sup> وبعد ذلك قام اولئك المعارضون لأمارة سعد بن عباد بالبيعة لأبي بكر<sup>٢</sup> كل ذلك دون أن يدركوا أنه لو كان المقياس في الفضيلة هو قرابة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد كان من هو أقرب الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من ابي بكر وهو أليق من أي جهة بالامر وكانت هذه البيعة المفاجئة هزيمة لسعد ابن عباد وأنصاره، ونصراً لعمر و أبي بكر، و قد أجبر بعض

١- الطبري ج ٤ ١٨٤٣-١٨٣٩. الكامل لابن الاثير ج ٢ ص ٣٢٥.

٢- شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد ج ٦ ص ١٠.

المعارضين على البيعة بحجة انه لا تجوز مخالفة جماعة المسلمين<sup>١</sup>.  
وعندئذ خرج ابوبكر وعمر و انصارهما من السقيفة واتجهوا  
نحو مسجد الرسول (ص) فكانوا يرفعون يد من يلاقونه ولا يدعونه إلا  
ان يبائع ابابكر<sup>٢</sup>.

وعرف بنوهاشم وكبار المهاجرين والأنصار مثل العباس  
عم النبي واولاده والزبير والحباب بن المنذر والمقداد وأبي ذر الغفاري،  
وسلمان الفارسي، وعمار، والبراء بن عازب، وأبي بن كعب،  
وعتبة بن ابي لهب، وخالد بن سعيد، وخزيمة بن ثابت و فروة بن  
عمرو، عرفوا بالخبر فجأة وكانوا يجهلون، فغمرتهم الدهشة<sup>٣</sup> وامتنعوا  
عن البيعة، بعد أن لم يستطيعوا ان يتصوروا كيف ان الخلافة  
انحرفت عن مسيرها بسرعة رغم كل تلك الروايات وتصريحات  
الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وخرجت من يد أهل البيت  
(عليهم السلام).

قال عليّ عليه السلام في جواب أبي عبيدة نصير أبي بكر  
الذي تذر بحجة صغر سنه وعدم توفره على التجربة الكافية: يا  
معشر المهاجرين، الله الله، لا تخرجوا سلطان محمد عن داره وبيته  
الى بيوتكم ودوركم، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه؛  
فوالله يا معشر المهاجرين لنحن - أهل البيت - أحق بهذا الأمر  
منكم؛ أما كان منا القارىء لكتاب الله، الفقيه في دين الله العالم

١- الطبرى ج ٤ ص ١٨٤٥.

٢- شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد ج ١ ص ٢١٩ طبع ١٣٧٨ هجرية.

٣- الفصول المهمة تأليف السيد شرف الدين الموسوى ص ٤١ - ٤٢.

بالسنة، المضطلع بأمر الرعية، والله إنه لفينا، فلا تتبعوا الهوى فتزدادوا من الحق بعداً<sup>١</sup>.

و لما بويع ابوبكر في يوم السقيفه وجدت البيعة له يوم الثلاثاء على العامة خرج عليّ (عليه السلام) فقال: أفسدت علينا امورنا ولم تستشر ولم ترع لنا حقاً، فقال أبوبكر: بلى؛ ولكني خشيت الفتنة... ولم يبايعه أحد من بني هاشم حتى ماتت فاطمة رضي الله عنها<sup>٢</sup>.

ان مطالعة تاريخية للحوادث التي سبقت وفاة الرسول(ص) والأيام القليلة التي تلتها، تكشف لنا بوضوح عن مؤامرة دقيقة متشعبة الجوانب، والآ فلماذا لم يخبروا بني هاشم وكبار الصحابة باجتماعهم في سقيفة بني ساعدة؟ ولنفرض - جديلاً - أن الرسول(ص) لم يعين الخليفة من بعده فهل من الصحيح ان يبت في امر يرتبط بمصير العالم الاسلامي دون مشورة علي(ع) وأصحابه وبني هاشم و كبار الصحابة مثل سلمان وأبي ذر والمقداد؟

فهل كان أولئك يفكرون أحسن من عليّ، ألم يقل النبي(ص) من قبل في علي(ع):

(علي مع الحق والحق مع علي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض يوم القيامة)<sup>٣</sup>.

١- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٦ ص ١٣- ١١ طبع ١٣٧٩ هجرية.

٢- مروج الذهب ج ٢ ص ٣٠١ طبع ١٩٦٥ م.

٣- تاريخ بغداد ج ١٤ ص ٣٢١.

( اقضاهم علي بن ابي طالب )<sup>١</sup>.

(انا مدينة العلم و على بابها)<sup>٢</sup>.

الم يكن علي (ع) منهل العلم والفضيلة؟

فلماذا لم يبایعوه خليفة و حتى أنهم لم يستشيروه في هذا

الأمر الهام.

وهل يمكن اتخاذ حادثة سنه ذريعة؟ ألم يجعل الرسول (ص)

قوام التقديم في الكفاءة والتقوى، ولذا قدم أسامة على أمثال

أبي بكر، فلماذا لا يتقدم علي على غيره؟

ولقد تذرعوا بذريعة أخرى هي ان الدماء التي سفكها علي

في الحروب الإسلامية تمنع الكثيرين من الانضواء تحت لوائه.

نعم تناسوا وأغفلوا كل الروايات والتصريحات التي صرح

بها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بحقه في حين أن المقاييس تقضي

أن يجبر الراضون للحق على اتباعه لأن يخالف الحق لهذه الذريعة.

هذا علاوة على أنه لو كان هناك سبب صحيح لم يختار الله

تعالى علياً خليفة للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

## سؤال:

يسأل بعض إخواننا المسلمين المنصفين قائلين:

اننا لا يمكن أن ننكر مسألة الغدير وسائر الأدلة المقامة على

خلافة الإمام علي (عليه السلام) ولكن لماذا لم يدافع علي نفسه عن

٢- فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ٢ ص ٢٦٢.

٣- فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ٢ ص ٢٥٠.

حقه بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في حين إنه حارب عند خلافته كل أولئك الذين قاموا ضده وأرادوا غصب حكومته؟

## الجواب:

إنّ علياً لم يكن ليعترف بحكومة أبي بكر، ولذا فإنه لم يكن ليحضر جماعته وجمعته، واستعان بالناس ليستعيد حقه المغضوب، حتى أنه كان يطوف بالزهراء فاطمة ليلا على بيوت الأنصار و يطلب معونتهم في الأمر ولكنهم تذرعوا بأنهم بايعوا وقد قضي الأمر<sup>١</sup>.  
لقد كان الأنصار حديثي عهد بالاسلام، ولذا فقد كانت العادات والأخلاق الجاهلية مازالت معششة في أعماق نفوسهم، ولذا فإنهم لم يكونوا بقادرين نفسياً على تجاوزبيعة أبي بكر رغم أنها وقعت في غير محلها ومن ثم نصرة علي (عليه السلام).  
فعلني إذن لم يكن يملك ناصرأ بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ليقوم مطالباً بحقه والآ فلم يكن متوانياً في أخذ حقه وقيادة العالم الإسلامي.

وهذا ما تجلّى عند ما ثار الناس بوجه عثمان وقتلوه واتجهوا بكل حماس نحو علي (عليه السلام) ومدوا اليه يد البيعة فأعلن أنه لا عذر له في عدم قبول الأمر بعد قيام الحجّة بوجود الناصر<sup>٢</sup> فنهض عليه السلام به وقاد العالم الإسلامي أروع قيادة.

١- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٦ ص ١٣ طبع ١٣٧٩.

٢- نهج البلاغة فيض الاسلام الخطبة ٣ ص ٣٧-٤٣.

أما بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فإنه كان يرى الإصرار على المطالبة بحقه رغم عدم الناصر، لا ينتج إلا ازدياد الاختلافات الداخليّة، الأمر الذي يعود ضرره على الإسلام ودولته الفتية. ذلك أنّ أعداء الإسلام كانوا يتربصون به الدوائر وينتهزون الفرص للانقضاض على مكاسبه.

وعليّ عليه السلام أراد أن يحفظ الإسلام، والإسلام لديه أعزّ من كل شيء، لقد رأى (ع) وهو البطل المقدم الذي وقف جنباً إلى جنب الرسول (ص) في حروبه وصراعه ضدّ الكفر، رأى أنّ صلاح الإسلام والمسلمين يكمن في تركه التحرك والمعارضة الثورية والصبر على مضمض الأثم.

لم يكن علي (ع) طالب رئاسة ولذلك لم يتوسل بشتى الوسائل للوصول إلى منافعه الشخصية، وأنا نجد عليّاً يتخذ الموقف الرسالي المسؤول عند ما يأتيه أبوسفيان قائلاً: (ابسط يدك أبايعك، فوالله لئن شئت لأملأنها عليه خيلاً ورجلاً).

ليرفض علي عليه السلام هذا العرض الخبيث الماكر ويقول

له:

(والله إنك ما أردت بهذا إلا الفتنة، وإنك والله طالما بغيت للإسلام شراً لاحاجة لنا في نصيحتك)<sup>١</sup>.

## والواقع:

اننا لم نطرح هذا البحث الا ليقوم الاخوة من اهل السنة بمراجعة مصادرهم المعتبرة ويحققوا ويبحثوا حول هذه الحقائق التاريخية لنصل بالتالي الى تفاهم فكري وتعاون اخوي صميم وننسى الماضي المروغظومعاً على طريق الوحدة الاسلامية الشاملة.





## الفهرست

العنوان	الصفحة
مقدمة .....	٣
العالم والعرب قبل ظهور الإسلام .....	٥
الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام .....	٧
النبي محمد .....	١٣
ولادته وطفولته .....	١٤
محمد (ص) الوليد العجيب .....	١٥
حليمة مرضعة محمد (ص) .....	١٧
محمد في غمرة الأحداث .....	١٨
صفات و ملامح محمد (ص) .....	١٨
خواطر من حياة محمد (ص) في طفولته وشبابه .....	٢١
خواطر .....	٢٢
حديث بحيرى الراهب مع محمد (ص) .....	٢٣
رعي الغنم وأثره في حياة الرسول (ص) .....	٢٦

- ٢٧ ..... عفته وطهارة نفسه وتعالیه عن المغريات
- ٣١ ..... الزواج الأول لمحمد (ص)
- ٣٣ ..... اقتراح خديجة
- ٣٤ ..... من هي خديجة؟
- ٣٤ ..... محمد (ص) يسافر الشام
- ٣٦ ..... اقتراح الزواج
- ٣٩ ..... تعدد زوجات النبيّ
- ٤٠ ..... نماذج من تهم المسيحيين
- ٤٢ ..... حكم التاريخ وقضاوة
- ٤٣ ..... استجواب للمستشكيلين
- ٤٤ ..... تعداد أزواج النبيّ (ص)
- ٤٦ ..... الاتهامات الباطلة
- ٥١ ..... شخصية الرسول الأعظم قبل البعثة
- ٥٢ ..... غريزة التقليد والمماشاة
- ٥٣ ..... مجتمع الجزيرة العربيّة قبل ظهور الإسلام
- ٥٤ ..... حكم النبيّ (ص) بين قريش في وضع الحجر الأسود
- ٥٩ ..... بداية الوحي
- ٦٠ ..... رسالة محمد (ص) العالميّة
- ٦١ ..... محمد (ص) في سنّ الأربعين
- هل كان محمد (ص) يمرّ في غار (حراء) بمرحلة دراسيّة  
وتعليميّة؟
- ٦٣
- ما هو الوحي؟
- ٦٥

- ٦٦ ..... هل الوحي نوع من المرض ؟
- ٦٨ ..... الوحي والعلم اليوم.....
- ٧١ ..... طريقة النبي في تبليغ رسالته
- ٧٣ ..... خديجة في انتظار محمد (ص)
- ٧٤ ..... عليّ (ع) أول من أسلم من الرجال
- ٧٥ ..... تشريع الصلاة.....
- ٧٦ ..... ثلاث سنوات من التبليغ العمليّ
- ٧٧ ..... دعوة الأقرين.....
- ٨١ ..... الدعوة العاقبة لمحمد (ص)
- ٨٢ ..... نداء محمد (ص) على الصفا.....
- ٨٣ ..... ردود الفعل لنداء النبيّ (ص)
- ٨٤ ..... قريش تقدّم الشكوى لأبي طالب.....
- ٨٦ ..... قريش تحاول اغراء النبيّ (ص).....
- ٨٩ ..... مشاكل الطريق.....
- ٩٠ ..... تعذيب قريش.....
- ٩٤ ..... الضغوط الاقتصادية.....
- ٩٤ ..... الحرب النفسيّة.....
- ٩٤ ..... التعذيب الجسديّ.....
- ٩٧ ..... هجرة النبيّ محمد (ص).....
- ٩٨ ..... الهجرة من أجل الهدف.....
- ٩٩ ..... يشرب.....
- ١٠٠ ..... المؤامرة.....

- الإخلاص والفداء ..... ١٠١
- إلى غار ثور..... ١٠١
- إلى يثرب..... ١٠٢
- يثرب تنتظر ..... ١٠٤
- درس من الهجرة..... ١٠٥
- أطروحة الأخوة الإسلامية ..... ١٠٧
- المجتمع الفاضل ..... ١٠٨
- ابتكار في ميدان الاخوة ..... ١٠٩
- الأخوة الإسلامية في عصرنا الحاضر..... ١١٢
- الجهاد في الإسلام..... ١١٥
- نبي الرحمة..... ١١٦
- أهداف الجهاد..... ١١٧
- ما أجمل كلام الله..... ١١٩
- هل انتشر الإسلام بالسيف..... ١٢٠
- دوافع حروب النبي واحصاء القتلى فيها ..... ١٢٥
- إيديولوجية التفاهم الدولي ..... ١٢٦
- حرب بدر..... ١٢٧
- حرب أحد والأحزاب ..... ١٢٩
- بنو قريظة..... ١٣٠
- حرب بنى المصطلق، خيبر وموثة ..... ١٣١
- فتح مكة..... ١٣٢
- حنين - هوازن..... ١٣٣

- ١٣٥ ..... عدد القتلى
- ١٣٧ ..... عالميّة الإسلام
- ١٣٨ ..... الإسلام دين الشرق والغرب
- ١٣٩ ..... من مكّة دعى النبيّ العالم
- ١٤٠ ..... شاهد آخر على عالميّة الإسلام
- ١٤٣ ..... وظيفتنا في تبليغ الإسلام
- ١٤٥ ..... محمّد (ص) خاتم الأنبياء
- ١٤٦ ..... خلود الإسلام
- ١٥٠ ..... الخاتميّة في القرآن
- ١٥١ ..... الخاتميّة في الأحاديث
- ١٥٣ ..... حديث الغدير وخلافة النبيّ
- ١٥٤ ..... واقعة غدير خم
- ١٥٩ ..... رواة حديث الغدير
- ١٦٠ ..... معنى الحديث
- ١٦٣ ..... أخلاق محمّد (ص)
- ١٦٤ ..... حاجة المجتمع إلى الأخلاق
- ١٦٦ ..... محمّد (ص) بين الناس
- ١٦٩ ..... تسامحه وعفوه
- ١٧٠ ..... نظافته وطهارته
- ١٧١ ..... عبادته وزهده
- ١٧٣ ..... مسألة الخلافة وخلافة النبيّ
- ١٧٤ ..... الحاجة إلى القيادة

- ١٧٨ ..... هل عين النبي الأكرم خليفة؟
- ١٨٠ ..... الشورى في الخلافة
- ١٨٣ ..... نظرة سريعة لمسيرة الخلافة
- ١٨٦ ..... السقيفة و ما جرى فيها
- ١٩٠ ..... سؤال
- ١٩١ ..... الجواب



قیمت ۱۳۰ ریال

ادانتشارات



مؤسسه در راه حق

قم - صندوق پستی ۱۳۹۵





Princeton University Library



32101 055381766